توفيق الحكيم

الصفقة

مكتبة علي بن صالح الرقمية

توفيق الحكيم

الصفقة

مسرح

1956

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

تدور حوادث هذه المسرحية بفصولها الثلاثة في ساحة صغيرة بقرية صغيرة من قرى القُطر المصري.

الفصل الأول

(ساحة «الكَفْر» وقد تجمّع فيها نفر من الأهالي؛ البعض مشتغل بنصب علّاقة خشبية مما تُعلق به الذبائح في الريف، والبعض بقرب حلاق القرية الذي يحلق لأحد الفلاحين وهو جالس القرفصاء، والبعض حول «المعلم شنودة» صراف الناحية، وهو منهمك في مراجعة «كشف» طويل، فوق مصطبة أو دكة من خشب، والجميع حوله قائلين: «ندبح الدبيحة؟» ولكنه ينظر في الورقة التي في يده ولا يجيب.)

الفلاحون (يُلِحّون): ندبح الدبيحة يا معلم «شنودة»؟

شنودة (وهو منهمك في فحص الورقة): صبركم عليّ ... صبركم ...

الفلاحون: كلنا دفعنا يا معلم شنودة.

شنودة (صائحًا): حِلمكم ... حِلمكم لحين مراجعة الكشف.

الفلاحون (يزومون): آه من الكشف ... ومراجعة الكشف!

شنودة: طبعًا ... مراجعة الكشف ... شيء لا بد منه ... لا بد أمُر على الأسماء كلها ... وأحصر المبالغ المدفوعة ... وأنا سبق نبهت عليكم: إذا تخلّف واحد منكم عن الدفع الصفقة تبطل!

عوضين: حصل ... وسبق قلت لنا، بعضمة لسانك إننا دفعنا كلنا قسط الشركة وزيادة، وأمرتنا نجهز الدبيحة، ونحضر الغوازي والمزمار، ونعملها فرحة العمر.

سعداوي (وهو بين يدي الحلاق، والصابون على وجهه): كل شيء جاهز! ... الغوازي والمزمار والعِجل والسكين ... حتى التعليقة نصبناها قدامك!

الفلاحون (بجوار التعليقة): ندبح الدبيحة؟

شنودة: وآخرتها يا ناس؟! ... الدبيحة! ... الدبيحة ... قلت لكم اصبروا عليّ أراجع ... أمهلوني دقيقة ... العجَلة من الشيطان!

عوضين: مراجعتك طالت يا معلم!

الفلاحون: خلّصنا يا معلم وأكمل جميلك وفرّحنا.

شنودة: كل غرضي أفرّحكم ... لكن المسألة بالأصول ... يعجبكم إني أفرحكم قبل الأوان، وبعد الدبح والطبل والزمر، يتضح إن المبلغ ناقص، وتصبح الصفقة لاغية؟!

الجميع (في شبه ذُعر): لاغية؟!

شنودة: طبعًا ... إنتم نسيتم الشروط؟!

عوضين: أبدًا ... الشروط منقوشة في أدمغتنا كالنقش على الحجر ... ندفع للشركة ربع قيمة الفدان مقدمًا، والباقي يُقسّط على عشرين سنة!

شنودة: بالفوايد القانونية!

سعداوي (وهو يُنحّي يد الحلاق بالموسى عن ذقنه يقول): لا مانع ... وقبلنا وحمدنا وشكرنا!

شنودة: لكن إنتم نسيتم الشرط الأهم: الشركة لما أرادت إنها تصفي أملاكها في الزمام، كانت ناوية تطرح الصفقة في المزاد!

عوضين: مفهوم ... وانت — الله يسترك — مانعت ... وتوسطت حتى قبلوا بيعها لنا بالتقسيط!

شنودة: قلت لهم إن الفلاحين أولى من غيرهم! ... أنتم أحق بأرض اشتغلتم فيها طول عمركم، خدمتم بأيديكم في طينها، وأخرجتم للشركة خيرها من سنين وسنين ... قلت للخواجة المدير: اكسب فيهم الثواب، ووزعها عليهم — كل واحد حسب مقدرته — بالتقسيط مع الفوايد، واتركهم يخدموا الأرض أحسن من الغريب، هم يصبح لهم ملك، والشركة ما تتعرض لأي خسارة ... الخواجة المدير سمع مني الكلام وهز رأسه وقال: معقول!

الجميع: جميلك فوق رأسنا العمر كله يا معلم شنودة!

شنودة: لكن أرجع وأقول: الشرط الأهم!

الجميع: الشرط الأهم؟ ... خير إن شاء الله!

شنودة (بقوة): لا بد من دفع ربع القيمة مقدمًا عن الزمام كله ... الشركة لا تعرف عمرو من زيد ... هي لا يهمها فلان ولا علان ... المهم عندها تجهيز ربع الثمن لمباشرة الصفقة، يعني بالعربي إذا تخلّف واحد منكم فقط، يفسد الموضوع كله ... إلا إذا تحمّل نصيبه غيره.

عوضين: ومَن منّا تخلّف؟! ... كل دار عندنا في الكَفر باعت ما فيها، حتى الصناديق الخشب والصواني النَحاس.

سعداوي (وهو يمسك بيد حلاقه): تصدّق بالله! ... أنا دفعت لك يا معلم «شنودة» مهر ابني «محروس» ... واسأل «عوضين» قدامك ... اتفقنا على تأجيل دخلة بنته «مبروكة» على ابني «محروس» لحين ما ننتهي من حكاية الصفقة ... حصل؟

عوضين: حصل ... وأنا تصرفت في القرشين جهاز البنت، وبعت الكم كيلة دُرَة، ودبرت المبلغ.

سعداوي (صائحًا وهو ينفض الصابون عن فمه): العيال في إيدينا يا «عوضين»! ... لكن الأرض؟! ... الأرض في يد غيرنا ... والخوف عليها تروح للغريب!

شنودة: هس ... من فضلكم ... اسكتوا دقيقة واحدة ... أراجع بهدوء الكشف والمَبالغ بسرعة وننتهي.

عوضين (صائحًا في الجميع): اسكت انت وهو.

الجميع: سكتنا.

(يعم السكون ... في انتظار «شنودة» وفراغه من مراجعة كشفه ... وفي هذه الأثناء يظهر الفتى «محروس» من خلف الجميع، كما تظهر «مبروكة»، وينتحيان جانبًا يشاهدان ويتهامسان ...)

محروس (همسًا لمبروكة): تفرجي يا مبروكة ... تفرجي!

مبروكة (تشاهد وتهمس): أبوك يا «محروس» قاعد يحلق دقنه!

محروس (هامسًا متنهدًا): كأن الليلة ليلة دُخلته!

مبروكة: عملوها فينا يا «محروس»!

محروس: عملوها!

مبروكة: طلعت لنا في الآخر حكاية الأرض ... ما كانت لنا على بال!

محروس: لو كان انعقد عقدنا، وتمت دُخلتنا من شهرين، بعد ما جمعنا القطن ... ما كان حصل ما حصل.

مبروكة: القسمة والنصيب.

محروس: الدبيحة جاهزة، والطبل والزمر، والفرح منصوب في البلد.

مبروكة: للأرض!

محروس (مشيرًا بإصبعه): عوضين أبوكِ هناك، جنب المزين، منتظر دوره للزينة!

مبروكة (متنهدةً): ربنا فرّح قلبه!

محروس: ربنا فرّح قلوبهم كلهم ... كلهم ... إلا أنا وانتِ ... كلهم اشتروا ... كلهم صار لهم مِلك، وانا ضاع مهري، وانتِ ضاع جهازك.

مبروكة: يعدِّلها لنا ربنا.

محروس: حتى حلاق الكَفر عدّلها له ربنا ... وشغله راج الليلة! ... طول السنة وهو قاعد يصطاد السمك على جسر التَرعة! ... صيد القرموط كان أسهل له من صيد الزبون ... عدته أكلها الصدا ... كل يوم كان يزعق ويقول: «دقن لله يا أهل الكَفر! ... أحلق بقدح شعير! ... أحلق برغيف درة!» ... نجوم السما كانت أقرب له من دقون الكَفر! ... والليلة فتح عليه ربنا والناس حلقوا وتزينوا كأنه يوم العيد! ... والله ما فرحوا يوم العيد فرحتهم الليلة!

مبروكة: البرَكة في المعلم «شنودة» الصراف!

محروس: وفي الحاج «عبد الموجود» التُرَبي!

مبروكة: ما له الحاج «عبد الموجود»؟ قاعد قدامك يعمل استخارة على سِبحته الكهرمان، لا له في التور ولا في الطحين!

محروس: من قال لك؟

مبروكة: سمعنا إنه لا اشترى ولا باع.

محروس: الحاج «عبد الموجود» لا يشتري ولا يبيع، لكن يسلِّف.

مبروكة: عنده فلوس؟

محروس: إنتِ عبيطة يا مبروكة؟ ... الفلوس عنده بالكوم ... هو الفقير يطلع الحجاز كل سنة؟!

مبروكة: ويسلِّف لله تعالى؟

محروس: لله تعالى، وللرهن على العجل والجحش وريع الجاموسة، وقاعد قدامك يسبِّح بسبحته الكهرمان، وينتظر المتخلِّف عن الدفع يسعفه بالفايدة!

مبروكة: يعني المزيِّن راح ... والتُرَبي راح!

محروس: والصراف راح.

مبروكة: المعلم «شنودة»؟! ... له مصلحة في الحكاية؟

محروس: لا ... أبداً ... فقط لله تعالى وللسمسرة!

مبروكة: سمسرة؟

محروس: شيء بسيط، مسألة النقدية لا تهمه ولا يطلبها؛ لأنه عارف إن الفلاح عليه دفع أقساط الأرض، لكن لا مانع عنده من قبول السمسرة؛ كأنها هدية الحبيب لحبيبه ... يعني إن الواحد يستحي ويقدم له كم كيلة قمح، وكم كيلة رز، وكم كيلة دُرة في المواسم؛ واحسبي له الحاصل آخر السنة!

مبروكة: حلو! ... ما خاب في الكَفر إلا أنا وانتَ يا محروس!

(المعلم شنودة يرفع رأسه أخيراً عن الورقة، ويُجيل نظره في الحاضرين كأنه يبحث عن أحد بالذات.)

شنودة (صائحًا): تهامي عبد الستار!

الجميع: ما له؟!

شنودة: هو المتخلِّف عن الدفع!

الجميع (من كل جهة يصيحون منادين): تهامي! ... يا تهامي!

فلّاح (من بين الحاضرين): تهامي عبد الستار اختفى من الضحى.

فلاح آخر: يكون سرح في الغيط؟

عوضين: واحد يقوم يبحث عنه.

شنودة: أعطيه مهلة من هنا للعصر ... وإن غاب ذنبكم على جنبكم.

سعداوي (والصابون في فمه): قوموا يا جماعة ابحثوا عن الولد «تهامي» ... لعنة الله عليه! ... انهضوا ... همّوا ... قبل ما يتسبب لنا في تعطيل الشغلة!

(يهم بعضهم بالخروج.)

الحلاق: اقفل فمك يا عم «سعداوي»! ... الصابون يدخل حلقك، والموس يجرح صدغك وتحملني المسئولية!

سعداوي (منفجرًا): أحمّلك؟! ... أنا المُتحمّل! ... أنا المتحمِّل وساكت! ... ساعة يا أخينا، وانت قاعد تهري جلدي بسكينة البصل الباردَة!

عوضين (المنتظر دوره بجواره): سكينة البصل؟!

الحلاق (بصوت خافت): تصح منك الكلمة دي يا عم «سعداوي» قدام الزباين؟!

عوضين: اسمع الكلام الجد! ... قبل ما تحلق لي، سِن موسك قدام عيني على المِسَن ... عندك مِسَن؟!

الحلاق (مترددًا): لا مؤاخذة ... وقع مني في الترعة من يومين!

عوضين: مفهوم! ... وبلعه قرموط سمك؟! ... خيبتك كبيرة يا مزين كَفرنا ... ويصح بعدها أسلِّم لك دقني؟!

الحلاق: سلّمني ... سلّمني وتوكل على الله! ... كل شيء يتم في أمان وسلامة بإذن الله! ... «سعداوي» عم أبو محروس قدامك ... جرى شيء لدقنه؟ ... دقنه بخير ... استلمناها كمثل عش النحل، وسلّمناها كمثل كوز العسل!

سعداوي (وهو يفحص ذقنه الجريح): كوز العسل؟! ... كوز العسل الأحمر! ... دمي سال ... الله لا يكسبك! ... عندك مسحوق بُدرة؟

الحلاق: ما عندنا غير بُدرة الشركة!

عوضين (صائحًا): بُدرة الشركة؟! ... مسحوق بُدرة الشركة؟ ... مسحوق الدودة! ... مسحوق دودة القطن! ... غرضك تحط بُدرة الدودة على صدغه؟! ... هو «سعداوي أبو محروس» دودة؟!

سعداوي (للحلاق): أنا دودة؟!

الحلاق: العفو يا عم «سعداوي» العفو! ... إنت على راسنا من فوق! ... قصدي أقول إن كَفرنا كله ما فيه من صنف البُدرة غير مسحوق الشركة! ... وعشنا وشفنا الدودة ينحط لها بُدرة، وزبون إنسان في مقام حضرتك ما نلقى نحط له! ... نعيمًا! ... تفضل يا عم «عوضين»!

(ينهض «سعداوي»، ويجلس مكانه «عوضين» ويضع الحلاق الطاسة النحاسية حول رقبته، بعد أن يُفرِغ ما فيها ويملأها من جديد بماء قُلة قديمة بجواره.)

عوضين (صارخًا من ضغط الطاسة على عنقه): حاسب يا أخي ... حاسب!

الحلاق: اصبر يا عم «عوضين»! ... الغسيل ينفعك!

عوضين: اغسل انت الأول طاستك ... لونها يقرف الكلب!

الحلاق: ما لها طاستي؟! ... والله ما تلقى أختها عند أكبر دكان مزين في البندر!

فلاحة (على مقربة منهما): تعرف يا عم «عوضين»؟ ... أيام العطل «وليِّته» تعمل الطاسة مسقى للكتاكيت!

عوضين (للحلاق): الله يسترك!

الحلاق (للفلاحة): اخرسي يا بنت! ... والله أقوم أقطع لك لسانك بالموس!

(يلتفت الجميع فجأة جهة رجل مقبل وهو يجري ويلهث.)

الجميع (صائحين): تهامي عبد الستار حضر!

شنودة (يرفع رأسه عن الورقة): المهم يحضر بالمبلغ.

تهامي (يتقدم لاهثًا): تأخرت عليك يا معلم شنودة.

شنودة (وهو يمدُّ يده): هات!

تهامي (يُخرِج من جيبه أوراقًا مالية): خُد، وعِد!

شنودة (يتناول الأوراق المالية ويعدُّها): خمسة ... عشرة ... عشرين ...

سعداوي (لشنودة): تمام؟

شنودة (وهو يعاود العدّ): عشرة ... عشرين ...

عوضين (وهو يشرئب بعنقه بين يدي الحلاق): انتهينا؟!

الفلاح (بجوار التعليقة الخشبية): ندبح الدبيحة؟

(شنودة مشغول بقيد المبلغ بالكشف.)

سعداوي: المعلم شنودة سكت ... يعني موافق ... على خيرة الله ... ادبحوا يا اولاد ... وطبلوا وزمروا ... وافرحوا.

الجميع (يهتفون فرحًا): هيه! ... هيه!

(وعندئذٍ يُسمع صياح امرأة عجوز تولول وتندب وتصرخ وتستغيث، فيصمت الجميع، ويقفون في أماكنهم منتظرين معرفة الخبر.)

العجوز (تظهر صائحةً): امسكوا الولد «تهامي»! ... الولد تهامي الحرامي ... سرقني.

شنودة: سرقك؟

العجوز: جردني!

شنودة (لتهامي): سرقتَها يا تهامي؟!

تهامي (مضطربًا): أبدًا.

شنودة (متفرسًا في وجهه): لونك أصفر!

العجوز (مولولةً): فلوسي! ... فلوسي ... «تهامي»! ... ولد يا تهامي! ... تعملها وتسرقني؟ ... تسرق ستك أم أمك! ... ستك ... حبيبتك ... تسرق القرشين ... توفير العمر كله! ... وانت عارف إني قاعدة أحط القرش على القرش في قعر الصندوق الأحمر ... حاسبة حساب آخرتي ... كفني وخَرْجتي ودَفْنتي!

تهامي: أصل الحكاية يا ستي ...

العجوز: عارفة الحكاية وما فيها ... قلتها لي ألف مرة ... وأنا قلت لك فلوسي ابعد عنها ... إياك تلمسها ... أنا ولية كبيرة ... ورجلي في القبر ... وكل ما عندي مرصود للكفن والخرجة والدفنة.

تهامي: إن شاء الله عمرك يطول، وفلوسك ندبرها ... لكن الأرض يا ستي، مطلوبها الساعة، ولا يمكن تتأخر، واسألي المعلم شنودة!

العجوز: آخرتي أولى من أرضك ... آخرتي أهم من كل حاجة! ... آخرتي ... قاعدة من زمان أجهز لآخرتي ... تقوم انت يا بني تضيع عليّ آخرتي وخرجتي؟!

تهامي: فكرك كله في الموت ... لكن فكرنا في حياتنا! ... يعجبك حرمان ابنك وابن بنتك من نصيبه في الأرض؟ ... وتضيع عليه الصفقة؟ ... تضيع عليه الفرصة من بين جميع الأهالي؟!

العجوز: وانت يعجبك يا بني تقل مقام ستك في آخر أيامها، وتحرمها من كفنها ودفنتها، وتشمِّت فيها الأعادي وتضحِّك عليها الكبير والصغير من أهل البلد؟!

تهامي: الميت ما يحس بضحك ولا بشماتة ... لكن الحي يا ستي ... الحي! ...

العجوز: إن كنت انت تحس هات فلوسي! ... حلفت بالله في عُلاه وسماه، ونبيه الزين، صاحب الشفاعة، ما عندي لك غير كلمة واحدة: فلوسي!

تهامي: فلوسك موجودة ... رُدّها لها يا معلم «شنودة»! ... تحت أمرِك ... ادفنيها كما كانت في قعر الصندوق الأحمر! ... لكن يكون في معلومك إن الأرضَ ضاعت عليّ ... ويمكن نكون السبب — أنا وانتِ — في ضياع الصفقة كلها على أهل البلد ... تكلموا يا أهل البلد ... قولوا لها!

الجميع: سلِّفيه الفلوس يا خالة!

العجوز: أسلِّفه؟! ... إنتم مجانين؟!

سعداوي: الكفن ما له جيوب يا خالة ... الكفن ما له جيوب! ... الميت ما يحمل معه حاجة ... الميت ما يحمل نفسه ... اتركي خرجتك لغيرك وربك يدبرها.

العجوز: فلوسي مرصودة لآخرتي ... والله ما تروح فلوسي إلا لآخرتي.

عوضين (ينفخ زبد الصابون من فمه)**:** كلامك فارغ يا ولية!

العجوز: عيب يا «عوضين»! ... عيب تهين شيبتي! ... كلكم أصحاب غرض وأنا فاهمة أغراضكم.

عوضين: أغراضنا؟! ... ما لها أغراضنا؟! ... على الأقل أفيد وأنفع من غرضك!

العجوز (تلتفت باحثةً عن الترَبي الجالس مطرقًا يُسبِّح بسبحته)**:** انجدني يا «حاج عبد الموجود»! ... سامع كلامهم؟

الحاج (يتنحنح)**:** إنا لله وإنا إليه راجعون!

العجوز: تكلم يا حاج! ... قل لهم!

الحاج: الخالة معها حق ... رُدّ لها فلوسها يا معلم «شنودة» ... هي حرة في مالها، تصرفه حسب ما تحب وتريد.

عوضين (بنبرة ذات مغزًى، وهو يُنحِّي يد الحلاق ويغمز بعينه)**:** حسب ما تحب هي؟ ... أو حسب ما يحب بعضهم؟!

سعداوي (ينظر إلى عوضين ويغمز هو الآخر بعينه): يظهر إنك فاهم الفولة يا عوضين ... كلام في سِرك ما حط في دماغها حكاية فلوس الكفن والدفن وخلافه إلا ... بعضهم!

شنودة (يُسلِّم العجوز أوراق نقودها): استلمي فلوسك يا خالة ... وتفضلي من غير مطرود!

(العجوز تأخذ نقودها وتنصرف.)

الفلاح: يعني وقفنا.

شنودة: وقفنا.

الفلاح (القائم بجوار تعليقة الخشب): والدبيحة يا معلم وقفت؟

شنودة: إنت ما شاغل عقلك إلا مسألة الدبيحة؟!

سعداوي: والعمل يا معلم «شنودة»؟

شنودة: الحكاية تعقّدت من جديد ... «تهامي عبد الستار» مُتخلِّف ... وجملة المبالغ ناقصة ... يعني بالاختصار ...

عوضين (صائحًا وهو بين يدي الحلاق): الشغلة عطلت ... مفهوم!

سعداوي: بعد ما حلقنا وهرينا جلدنا!

عوضين: وأنا المزين حلق لي ناحية ... انتهينا ... ما باليد حيلة؟!

الحلاق: سبحان الله! ... يعني ما ندمتم على شيء إلا على الحلاقة؟!

سعداوي: اسكت انت ... طول عمرك نحس! ... ناحسنا وناحس الكَفر كله معك.

عوضين: الحق ما عمره حلق لنا في فرحة والفرحة تمت!

الحلاق: وهو الكَفر فرح مرة؟! ... فكروني! ... حصل إنكم فرحتم قبل الليلة؟! ... طول عمركم في الكرب والنكد.

سعداوي: اسكت يا نحس!

الحلاق: الغرض رمي همكم الليلة على واحد والسلام؟! ... الحمد لله ما لقيتم غير مزين الكَفر! ... تفضلوا ... ارموا على كتفي! ... أنا حمار السبخ!

شنودة: اسمعوا يا جماعة ... عندي فكرة!

سعداوي: الحقنا يا معلم.

شنودة: الحاج عبد الموجود يسلِّف تهامي القسط المطلوب.

الحاج: أسلِّف تهامي؟!

عوضين (صائحًا): أحسن فكرة!

الحاج: طبعًا ... بالنسبة لكم جميعًا!

عوضين: وبالنسبة لك ... عندك مانع؟

الحاج: الضمان! ... عندك ضمان يا تهامي؟

تهامي: أنا فلاح على دراعي ... راس مالي يدي وعافيتي ... وانت عارف ... لا أمتلك جاموسة ولا بقرة.

الحاج: سمعتم؟!

سعداوي: تهامي عنده شرف ... ويسدد لك من غير حاجة لضمان!

الحاج: عنده شرف؟! ... هي سرقة الفلوس من الصندوق الأحمر اسمها عندكم شرف؟!

سعداوي: فلوس سته ... هو حر مع سته ... لكن دَينك إنت مصيره يسدده بعد استلام الأرض ... انتظر عليه سنة واحدة فقط بعد ما يستلم أرضه.

تهامي: انتظر عليّ فقط محصول الشتوي ... ويحلها ربنا ... أكون اشتريت جاموسة.

الحاج: إنت ضامن يحلها ربنا؟!

تهامي: ما هناك مخلوق يضمن ربه!

الحاج: وطالب مني أنا أضمنك؟!

شنودة: إنت رجل مقتدر يا حاج ... جمِّد قلبك!

الحاج: غرضكم إني أرمي فلوسي في الهوا؟!

سعداوي: في الأرض وانت الصادق ... ارميها في الأرض النافعة ... أرض بلدنا ... القرش المرمي فيها حلال.

الحاج: إن كان على الأرض، كنت اشتريت أنا لنفسي أحسن لي.

شنودة: إنت فيها ... تفضل! ... وحِلّ الإشكال!

الحاج: لا يا سيدي ... يفتح الله! ... أنا عمري ما ادعيت إني مُزارع ... كل واحد أدرى بصنعته.

عوضين (صائحًا): صدقت! ... صنعتنا ندفن البذرة، وصنعتك انت تنبش على القرش!

الحاج (بصوت خافت): أنا فاهم قصدك يا «عوضين»! ... لِم لسانك!

عوضين (مخفضًا صوته): سلِّف «تهامي»، وأنا ألم لساني!

الحاج: قصدك تهددني؟!

عوضين: قصدي قلبك يرق ... وانت رجل حاج تلات حجات وحارس بيت الآخرة ... ومن أخذ من بيت الآخرة لبيت الدنيا عليه واجب!

الحاج: من أخذ من بيت الآخرة؟!

عوضين: مثلًا ... كلها أمثال!

الحاج: وبعدها لك يا «عوضين»؟! ... أقسم بالله العلي العظيم والكعبة الشريفة، إن نطقت بكلمة في حقي قدام الناس المجموعة ...

عوضين: أنا عِبْت في حقك يا «حاج عبد الموجود»؟ ... كل قصدي ضرب أمثال ... وهو ضرب الأمثالَ عيب؟!

شنودة: كفاية يا جماعة! ... كفاية تضييع الوقت في الفارغ ... فكروا في الكلام المفيد ... حصة تهامي عبد الستار.

سعداوي: الكلام المفيد إن الحاج «عبد الموجود» هو الخير والبركة ... ولا يرضيه يترك الفرصة تضيع على أهل البلد، والأرض تخرج من أيدينا على شيء بسيط بالنسبة له ... تمام كلامي؟

الجميع (في صوت واحد): تمام!

سعداوي: إنت خير الناحية وبَرَكتها يا حاج... سلِّف تهامي وانت قلبك قوي!

الحاج: بضمانتكم؟

الجميع: برقابنا؟

الحاج: بمواشيكم؟

عوضين: مواشينا مرهونة وانت الأدرى!

سعداوي: عيب يا حاج ... رقابنا عندك أقل من مواشينا؟! ... والله ما انت راجع في الكلام ... سلِّف تهامي برقابنا، والله ما تحرجنا ولا تخذلنا، بحق حجتك المبرورة، وسبحتك المشهورة.

فلاح (بجوار التعليقة الخشبية): خلِّص لنا الموضوع يا حاج؛ لاجل ندبح الدبيحة «ونفت الفت»!

فلاح آخر (بجواره): ونطبل ونزمر، وتبقى ليلة نحلف فيها باسمك العمر، يا حاج عبد الموجود!

الجميع (محيطين به مُحرِجين له): كلنا في انتظار كلمتك يا حاج.

الحاج (مُحرَجًا يُخرِج كيسه): مطلوبكم؟

الجميع (في هتاف الفرح): يعيش الحاج عبد الموجود! ... يعيش الحاج المبارك!

الفلاح (مقتربًا من شنودة بلهفة): ندبح يا معلم شنودة؟

شنودة (وهو يَعُدُّ المبلغ الذي تسلّمه من الحاج): ادبحوا.

الفلاح (صائحًا بفرح وهو يجري): قال: ادبحوا ... قال: ادبحوا ... قال: ادبحوا ... ادبحوا يا اولاد!

(ثم تُسمع زغاريد النساء، ويعم الفرح، ويصفق الجميع ويرقصون ويُنشدون):

صلّوا على الزين صلّوا على الزين
بقى لنا ملْك حلو وزين
صبرنا وَنلنا يا أهل بلدنا
وصار لصغيرنا مثل كبيرنا
فدّان طين
صلّوا على الزين صلّوا على الزين

فلاح (يظهر مُسرعًا): يا معلم شنودة!

شنودة: ما لَك؟

الفلاح: خميس أفندي معاون مخزن الشركة ... ظهر على حماره عند داير الناحية ... قاعد يصرخ ويناديك.

شنودة: يصرخ وينادني؟ ... لا بد شرب له كاسين زيادة في خمارة المحطة كالعادة!

الفلاح: اسمع!

صوت (من بعيد): يا معلم شنودة! ... يا أهل الكَفر!

شنودة (متوجسًا): خير! ... صوته صوت واحد كلامه جد!

(الجميع يقفون قلقين يلتفتون إلى جهة الصوت، ثم لا يلبث خميس أفندي أن يظهر على حماره.)

خميس: يا معلم شنودة! ... يا أهل الكَفر! ... الصفقة طارت من إيديكم ... قولوا عليها يا رحمن يا رحيم!

الجميع (في وجوم): فال الله ولا فالك!

شنودة: الصفقة طارت؟

خميس (وهو ينزل عن حماره): وانتهى أمرها.

شنودة (يُحدِّق فيه): لو كان ظهر عليك إنك شارب؟ ...

خميس: ولا دخلتْ جوفي من يومين! ... آخر الشهر يا معلم!

شنودة: مصدقك ... وظاهر عليك الجد ... لكن الصفقة ...

خميس: قلت لك طارت وانتهى الأمر!

شنودة: كيف عرفت؟

خميس: «حامد بك أبو راجية» في المحطة!

الجميع (في ذعر): حامد بك أبو راجية؟!

خميس: شاهدته بعيني ... ومعه وكيله ... رحت أستلم زكايب فوارغ وصلت للمخزن بقطر البضاعة ... لقيته هناك! ... قاعد يكلم ناظر المحطة!

الجميع (في وجوم): حامد بك أبو راجية في الناحية؟!

شنودة: شم ريحها وحضر في الوقت المناسب! ... شم ريحها التعلب!

سعداوي: والعمل يا معلم؟

شنودة (في يأس): ما دام حامد بك أبو راجية دخل فيها ...

عوضين: هو حامد بك أبو راجية ورانا ورانا؟!

تهامي: واقف لنا بالمرصاد ... كل ما يلقى في الناحية فدان طين يخطفه.

سعداوي: لكن الشركة أعطت لنا كلمة.

خميس: الشركة عندها مصلحتها قبل كل شيء ... وحامد بك أبو راجية فلوسه كلها حاضرة ... كلام تمام يا معلم شنودة؟ ... إنت أدرى بالشركة.

شنودة (مطرقًا): تمام.

عوضين: يعني وقعنا يا جماعة؟!

سعداوي: قولوا لهم يوقفوا الدبح! ... خسارة العِجْل يروح في الشيطان الرجيم!

الجميع (صائحين): أوقف الدبح يا جدع ... حاسبوا على الدبيحة! ... أبطلوا الزمر والطبل هناك!

(يخيم الصمت ويطرق الجميع واجمين.)

سعداوي: يعني خسرنا كل شيء يا أهل البلد! ... ما عاد هناك أمل في فدان ملك؟! ... نرجع لحالنا وألعن ... ألعن من زمان ... على الأقل الشركة كانت أرحم من حامِد بك أبو راجية.

تهامي: ووكيله عليش افندي ... صيته وصل الناحية ... ياكل مال النبي ... كل من راح من بلادنا يشتغل هناك في أرض البك استلمه عليش افندي وعصره كما ينعصر عود الدرة!

عوضين: والله نبقى خرفان لو تركنا الصفقة، يخطفها من إيدينا حامد بك أبو راجية!

سعداوي: هي الشطارة بالكلام يا عوضين؟! ... عندك حل؟!

عوضين: نفكر يا جماعة ... نفكر!

تهامي: الحل موجود ... لكن ما يقوم به إلا الرجال!

عوضين: كلنا رجال.

تهامي: ما هناك حل غير إننا نمنعه من الخروج من المحطة!

الجميع: وكيف نمنعه؟

تهامي: صمموا واحلفوا إنه ما يخرج منها ... وهو ما يخرج منها.

الجميع: قل لنا كيف ...

تهامي: نخرِج روحه من جوفه!

شنودة: جريمة؟!

عوضين: اسكت انت يا معلم شنودة ... إنت لا سمعت ولا خميس افندي سمع!

سعداوي: ومن يعملها؟!

عوضين: تعملها انت يا تهامي؟!

تهامي: أعملها.

عوضين: إنت راجلها يا تهامي!

تهامي: هاتوا لي بندقية!

سعداوي: بندقية من؟

تهامي: إنت عندك واحدة يا عم سعداوي.

سعداوي: بعتها من زمان!

تهامي: وبندقية عم عوضين؟!

عوضين: مكسورة من مدة!

تهامي: والعمل؟!

عوضين: أقول لك على فكرة ... اسرق بندقية الخفير ... تلقاها مسنودة هناك على الجدار، وهو قاعد يشرب الشاي في دكان «فودة الدخاخني».

تهامي: كلام حلو.

خميس: إنتم لا بد حصل في عقولكم شيء!

شنودة (متشجعًا): قل لهم يا خميس افندي ... قل لهم!

عوضين: اسكت انت وهو! ... اتركونا ندبر شئوننا بالراحة!

شنودة: راحة؟!

سعداوي: رُح على بركة الله يا تهامي!

الحاج: اسمحوا لي بكلمة صغيرة ... كلام المعلم شنودة وخميس افندي في محله ... مسألة البنادق وضرب النار فيها خطر على الكَفر كله ... ابحثوا لكم عن طريقة غيرها!

سعداوي: طيب فكر انت معنا يا حاج بدل التعطيل وتكسير المجاديف!

الحاج: فكروا إنتم.

عوضين: طريقة غيرها! ... طريقة من غير ضرب النار؟ ... كيف؟

الحلاق (يتقدم): أنا أعملها أنا ... من غير بنادق ولا ضرب نار.

الجميع (يلتفتون إلى الحلاق): إنت؟!

الحلاق: وانا هزيل؟! ... أنا قدها وأكبر! ... لكن قبل كل شيء إيديكم على النقدية!

سعداوي: ندفع ... وي!

عوضين: ندفع ... من ضمن المصروفات ... دفعنا كلنا قيمة الدبيحة ... نفرضها دبيحتين! ... كل شيء بأجره ... لكن كيف تعملها انت ... قل لنا!

الحلاق (يرفع الموسى في يده): بالموس!

الجميع: تدبحه؟!

الحلاق: أحلق له! ... جرح بسيط يكفي ... فاكرين «محمد أبو شقفة» المتوفى لرحمة الله السنة الماضية؟ ... سبب وفاته إني حلقت له ... وكان حصل له تسمم ... وربنا سترها وفاتت على الصحة.

سعداوي (في هلع): موسك مسموم؟

الحلاق: أحيانًا ... وانا أقدر أضمن طهارة الموس؟! ... لكن والله بدون علمي وأحلف لكم على المصحف!

سعداوي (وهو يتحسس ذقنه): خبرك اسود!

عوضين (وهو يتحسس هو الآخر ذقنه): يعني السم زمانه نازل يجري في دمنا!

الحلاق: خفتم؟ ... خلوها على الله! ... ما هناك خوف عليكم إنتم! ... قسمًا بالله العلي العظيم أنا غاسل موسي في الترعة قبل ما أحلق لكم! ... لكن يومها كان الموس وقع — من غير مؤاخذة — في وسخ المواشي وكسلت أغسله!

الجميع: كسلت؟!

الحلاق: يعني قصدي نسيت ... وساعة القضا يعمى البصر ... لَاجل عمره ... مكتوب لمحمد أبو شقفة يموت يومها ... وانا أقدر أمنع الأجل؟ ... لا أنا ولا أقوى مني ولا أي مخلوق يمنع الأجل أو يرد القدَر.

خميس: ولو كنت يومها غسلت موسك! ...

الحلاق: كان وافاه أجله من مصيبة غيرها! ... المسألة واحدة!

سعداوي: يعني إن كان وافانا الأجل الليلة يا عوضين يكون الولد المزين عملها فينا؟!

عوضين: نموت من موسه الوسخ؟! ... الله يوسخ عرضك ويسم بدنك ... لعنة الله عليك مزين نحس!

(يبصق على الأرض.)

تهامي: تكلموا في الجد يا جماعة! ... الحل الجد! ... قبل ما يسرقنا الوقت ... وما نشعر إلا وحامد بك أبو راجية دخل البلد وأنهى شغله.

سعداوي: ومَن أدرانا إنه ما أنهى شغله مع الشركة قبل حضوره؟

عوضين: كان وصلنا الخبر ... كان على الأقل المعلم شنودة عرف وقال لنا.

سعداوي: رأيك يا معلم؟

شنودة: ينهي الشغل مع الشركة قبل ما يعاين؟ ... لا حامد بك ولا غيره ينهي المسألة قبل ما يعاين الأرض معاينة جيدة.

سعداوي: قصدك إن سبب حضوره اليوم معاينة الأرض؟

شنودة: طبعًا.

عوضين: والله ما نجعله يعاينها ولا يلمح منها قصبة!

سعداوي: حقا يا جماعة! ... لو شاهد بطرف عينه زراعة الفول البدرية المخدومة بإيدينا السنة ... صلاة النبي أحسن! ... طالعة في الأرض بلون الياقوت الأخضر، كان الطمع في الأطيان دخل قلبه وعمره ما يخرج.

تهامي: قلت لكم لا بد من خروج روحه الليلة ... ما هناك حل جد — والله — إلا البندقية!

عوضين: البندقية قلنا لك على مكانها.

تهامي: يعني أتوكل على الله؟!

شنودة: اعقل يا تهامي!

تهامي: قلنا لك اسكت انت يا معلم شنودة ... الكَفر كله موافق.

خميس: إنت غرضك تعرّض الكَفر كله للمسئولية قدام البوليس والنيابة؟! ... الشهامة إنك تعرّض نفسك وحدك ... رُح اقتل وارمِ نفسك في داهية ... إنت حر ... لكن أهل الكَفر ما لهم؟ ... تعرضهم للتهم؟

تهامي: أنا معرّض نفسي وحدي!

الجميع: عشت يا تهامي!

شنودة: اصبروا يا جماعة! ... اسمعوا! ... الحكاية أهم من تهمة تهامي وحده أو مع غيره ... لو حصلت جريمة في الناحية وحضر البوليس وحضرت النيابة، وحصل تحقيق وقبض، وسؤال وجواب بين أهالي الكَفر ... والإشاعات انتشرت والشوشرة كبرت ... معنى الحاصل شيء واحد: إن الصفقة ضاعت نهائيًا على أهل البلد؛ لأن الشركة تخاف ... وانت أدرى بالشركة يا خميس افندي ... قل لهم ... متى ظهر من التحقيق إن الجريمة حصلت بسبب وعد الشركة للأهالي إنها تبيع لهم الأراضي ... خافت الشركة من حشر اسمها في التحقيق وامتنعت ... كلام معقول يا خميس افندي؟!

خميس: معقول ... تمام ... لا يمكن الشركة تتعامل معكم والدم سايل والتحقيق داير.

شنودة: ابحثوا عن حل هادي ... عن طريقة ودِّية.

سعداوي: طريقة ودِّية؟

عوضين: كيف؟ ... طريقة ودِّية؟ ... مع من؟ ... مع حامد بك أبو راجية؟

شنودة: تفاوضوا معه ... يمكن ينزل لكم عن جانب من الصفقة.

الجميع: جانب؟!

شنودة: يعني لو أخدها مناصفة بينه وبينكم ... أو أخد هو الثلث وترك لكم الباقي ...

عوضين: قصدك نفاوضه يترك لنا غسيل يديه؟!

سعداوي: وبقية المتروك نوزعه علينا كيف؟ ... بعضنا نعطيه والبعض نحرمه؟!

شنودة: وما له؟ ... شيء أحسن من لا شيء ... بعض الهم ولا الهم كله ... يفضل لكم بعض الأطيان أحسن من حرمان الأهالي كلهم ... ومع ذلك يمكن توزيع الباقي بينكم جميعاً على نفس الأساس ... يعني من كان راح ياخد فدانين يعطي له فدان.

سعداوي (للأهالي): رأيكم يا جماعة؟!

الجميع: ما باليد حيلة!

خميس: عندي حل غيره ...

الجميع: قل يا خميس افندي!

خميس: بلغني إن حامد بك أبو راجية دخل مرة صفقة أطيان وخرج منها بدون ما يشتري ... اكتفى بخلو طرف ... يعني يخرج منها نظير مبلغ متفق عليه، ويتركها بالكامل.

الجميع: كلام طيب.

خميس: إذا وافقتم على هذا الحل، فاوضوه على هذا الأساس.

سعداوي: حل مليح ... كلنا نوافق على إنه يخرج من الصفقة نظير مبلغ، ويترك لنا الأرض بالكامل.

عوضين: يسلم فمك يا خميس افندي ... لو قبل حامد بك يترك لنا الأرض في نظير مبلغ نبقى فزنا بالمرام.

شنودة: والمبلغ؟

سعداوي: دخلنا في الجد!

خميس: المسألة بسيطة ... اعتبروا كأن كل فدان رفعت لكم الشركة ثمنه من عشرة إلى عشرين جنيه مثلاً ... والأرض بالطبع قيمتها تساوي أكثر، وانتم أسياد العارفين ... يعني افرضوا الشركة رفعت سعر الفدان، واجمعوا فرق الثمن من بينكم وأعطوه لحامد بك، وقولوا له مع السلامة.

عوضين: نجمعه من بيننا؟!

سعداوي: إنت نسيت يا خميس افندي؟! ... هو الكَفر فضل فيه فلوس؟! ... اسأل المعلم شنودة يقل لك!

شنودة: معهم حق.

خميس: إنتم أحرار، اختاروا لكم الحل الموافق ... أنا قلت لكم رأيي.

سعداوي: رأيك في محله يا خميس افندي ... وهو حقيقة الحل الموافق ... لكن المبلغ ...؟

خميس: المبلغ دبروه! ... كل شيء يدبّر ... المهم احزموا أمركم!

عوضين: حزمنا أمرنا ... دبرنا!

خميس: عندكم بنك التسليف ...

سعداوي: لو كان بنك التسليف يعطي أمثالنا المُجرّدين ما كنا تأخرنا عنه.

عوضين: وبنك التسليف لازم له إجراءات طويلة، وضمانات، وأوراق رسمية، وخلافه ... وإن قدر على شروطه واحد منا، ما يقدر الباقي.

خميس (وهو ينظر إلى الحاج ويغمز بعينه)**:** قصدي بنك تسليف الكَفر!

سعداوي: آه ... قصدك الحاج عبد الموجود؟! ... ربنا يسمع منك! ... الحاج حاضر وسامع.

الحاج (ناهضًا للانصراف)**:** لا ... أنا ... لا أنا حاضر ولا سامع ... سلام عليكم!

عوضين (يمسك به)**:** اقعد يا حاج نتفاهم!

الحاج (في شبه هلع)**:** نتفاهم؟!

سعداوي: أي والله يا حاج عبد الموجود ... اقعد نتفاهم ونفكر مع بعضنا في حل الموضوع ... ما هناك عُقدة إلا وانت حلّالها ببركة حجك المبرور.

الجميع (يلتفُّون حوله)**:** اقعد يا حاج!

الحاج (وهو يجلس مُرغمًا)**:** قعدت ... لكن وشرفكم ما فيه فايدة! ... الموضوع ظاهر من أوله ... بالمفتوح لو كان في قدرتي ما كنت قمت ولا تأخرت ... المبلغ كبير ... أنا في قوة مبالغ كبيرة؟! ... أنا رجل ضعيف ... رجل عايش بالستر.

الجميع: صلِّ على النبي يا حاج!

الحاج: اللهم صلِّ عليه! ... لكن الموضوع مستحيل ... ما يقدر على القدرة إلا الله يا ناس!

سعداوي: صلِّ على نبينا الزين يا حاج، وافتح لنا صدرك الواسع، ونتفاهم واحدة واحدة ...

الحاج: واحدة واحدة! ... عملتها فيّ يا خميس افندي؟!

خميس: انجدهم يا حاج! ... أهل بلدك وأولاد كَفرك ... مرة تدفنهم ومرة تحْييهم!

الحاج: إنت تعرف إن تحت يدي مطلوبهم؟

خميس: وأكثر ... ربنا يقويك ويزيدك!

الحاج: ولو فرضنا إن عندي المبلغ ...

الجميع: نكون خلصنا.

الحاج: مفهوم ... لكن التسليف يكون على أي أساس؟!

سعداوي: أي أساس يرضيك.

الحاج: يرضي الأصول ... أنا لا أطلب غير الأصول.

عوضين: يعني طالب ضمانة؟!

الحاج: لا تؤاخذوني! ... كل تسليف له أصول ... ومن ضمن الأصول الضمانة وخلافه ...

عوضين: وخلافه؟!

سعداوي: مفهوم ... يعني الفوايد ... شيء معروف ... الكل موافق على طلباتك يا حاج ... المهم أنقذنا وأنقذ الأرض.

الحاج: نتفاهم أولًا على الضمان ... كيف أضمن مبلغي؟ اعملوا لي رهنية على الأطيان.

عوضين: رهنية على أطيان ما استلمناها ولا صارت ملكنا؟!

الحاج: بعد ما تصير ملككم ... اكتبوا لي ورقة تعهُّد.

شنودة: الأرض ضامنة أقساط الشركة ... ولا يمكن يا حاج إنك تستفيد من امتياز الرهن.

الحاج: وأنا لا يمكن أسلِّف ... مستحيل.

سعداوي: محصولنا يضمن يا حاج ... نصيبنا من المحصول نعطيك منه مطلوبك ... في الشتوي والصيفي ... كل زرعة نخرِج لك منها نصيبك ... ولو من قُوتنا الضروري وقوت عيالنا ... المهم انجدنا ... أنقذنا ... أنقذ أرضنا ... أحي كياننا ... عمر بيوتنا!

الحاج: ضماناتكم غير كافية.

عوضين: جربنا يا حاج ... سبق أكلنا لك نقدية أو ماطلنا في تسديد سلفية؟! ... جربنا مرة! ... كلنا أهل شرف وذمة.

خميس: سلِّفهم يا أخي! ... هو انت غريب عنهم؟ ... إنت منهم ... خيرك من خيرهم ... وفلوسك من أرضهم ... ومكسبك من عرقهم ... قاعد هنا طول عمرك تحصد من فوق الأرض ومن تحت الأرض ... سلفهم! ... سلفهم!

الحاج: معنى الكلام يا خميس افندي؟

خميس (بصوت خافت للحاج): ربنا أمر بالستر ... وسبحان من جمعنا على غير ميعاد في القطر وانت مسافر البندر ... نسيت؟! ... الغرض ... إنت فاهم وانا فاهم ... خلص لهم الموضوع بالتي هي أحسن.

الحاج (يتظاهر بأنه لم يسمع التهديد، ويلين فجأةً): على كل حال أنا قلت لكم الأصول ... أصول السلف في الدنيا كلها ... لكن لاجل خاطركم انتم ... وخاطر خميس افندي ... أنا طبعًا تحت أمركم ... أسلِّفكم من غير ضمان أصولي ... بضمانة شرفكم وذمتكم.

الجميع (هاتفين): عاش الحاج عبد الموجود! ... عاش الحاج عبد الموجود!

(الجميع يحيطون بالحاج ويُقبِّلون رأسه.)

سعداوي (لشنودة): المسألة انحلت على خير يا معلم ... والحاج تكرّم وقبِل يدفع عنا الفرق ... ناقص شيء؟

شنودة: ناقص نفاوض حامد بك أبو راجية.

سعداوي: من يفاوضه؟

شنودة: أنا مستعد.

خميس: وأنا كذلك مستعد.

شنودة: اندبوني أنا وخميس افندي ... نروح نقابله في المحطة.

سعداوي: كلام طيب.

عوضين (صائحًا): سعداوي ... أبو محروس!

سعداوي: ما لك؟

عوضين (هامسًا في أُذنه): إنت عبيط! ... الخوف من شنودة يسمسر علينا ... وخميس افندي يبيعنا بكاس في خمارة المحطة!

الحاج: اسمحوا لي بصفتي صاحب المال المتولي الدفع إني أروح أحضر المفاوضة.

عوضين (هامسًا): ألعن وأضل!

سعداوي (صائحًا): كلنا ... اسمعوا يا جماعة ... اسمعوا رأيي ... كلنا نروح ... كلنا نحضر.

شنودة: لا مانع ... تعالوا كلكم.

خميس: كلنا نروح المحطة؟! ... هي مظاهرة؟

عوضين: وما له؟ ... مظاهرة ... مظاهرة!

الحاج: عندي فكرة يا جماعة! ... كلنا نروح له المحطة بالركايب ... ونستقبله ونقول له يحضر الكَفر، وندبح له الدبيحة، ونحتفل به ونحرجه ... لعل وعسى قدام الحفاوة والإكرام يخجل ويلين ويقبل شروطكم من غير تشدد ويرضى بالقليل.

سعداوي: فكرة عظيمة يا حاج!

عوضين: الله ينور عليك يا حاج ... فكرة معتبرة ... نروح كلنا ... يطلع كل الكَفر بالطبل والزمر ... على شرط لا نكلمه هناك كلمة ولا نفتح له سيرة ... لغاية ما يحضر هنا ونكرمه الإكرام الزائد على قول الحاج ... وبعدها نعرض عليه المبلغ قدرتنا، ونقع تحت رجليه ونحلف عليه إنه يقبله منا ويسافر بالدعوات الصالحات.

الجميع: كلام زين يا عوضين ... تسلم يا عم عوضين!

عوضين: على المحطة يا جماعة ... جهزوا الركايب.

الجميع (صائحين)**:** على المحطة ... على المحطة ...

عوضين (صائحًا)**:** دقوا الطبل يا اولاد ... دقوا الطبل!

(ويتحرك الجميع ذاهبين إلى المحطة على دق الطبل وصوت المزمار.)

---

[1] هذا في حالة تمثيل المسرحية في الهواء الطلق بلا مناظر. أما إذا مُثِّلت داخل مسرح، فيحسُن ظهور «محروس» و«مبروكة» على سطح إحدى الدور المعرّشة بحطب القطن والذرة وينبطحان؛ ليُشرِفا على ما يجري في الساحة.

الفصل الثاني

(نفس الساحة بالكَفر ... وأصوات الطبل والمزمار تقترب عائدةً من المحطة ... ثم تظهر الجموع مُهللةً، محيطةً بحامد بك أبو راجية فوق فَرس، وخلفه وكيله عليش أفندي فوق حمار.)

شنودة (صائحًا): افرشوا حصيرة على المصطبة![1]

سعداوي: هات مخدة من داركم يا عوضين!

تهامي: نزّلوا البك من فوق الركوبة!

(وتجري حركة بينهم وتسابُق من الجميع إلى إنزال البك من فوق الفرَس، كما يُقبل الباقون على عليش أفندي ويساعدونه على النزول من فوق حماره، ويتولى بعضهم إخراج المطايا، والبعض يُجلِس البك على المصطبة المفروشة.)

الوكيل (مقتربًا من البك): زفة مليحة يا سعادة البك!

البك: حكاية عجيبة! ... طول عمرنا في الأرياف، وانت عارف يا عليش افندي؛ عمرنا ما لقينا أهل كَفر بهذه الصفة!

الوكيل: ربما لاجل مقامك الكبير!

البك: ولو! ... لكن الاستقبال بزفة وطبل ومزمار!

الوكيل: كَفر كريم مضياف!

البك: صحيح ... يصادف في بعض الأحيان، لكن ...

الوكيل: هي مسألة الزفة ...

البك: والإلحاح الغريب في الضيافة ... والحلف بالطلاق إننا نقبل ولو شرب القهوة!

الوكيل: وإذا حجزونا للعَشا؟

البك: العَشا؟ ... لا ... لا يمكن ... كفاية تعطيل ... يوم يعلم به ربنا ... مرة العجلة تفرقع ... ومرة يحصل تصادُم في شجرة يكسر خزان البنزين ... لولا قُربنا من المحطة كنا احترنا!

الوكيل: حصل خير يا بك ... الحمد لله على سلامتك!

البك: المهم لا بد من رجوعنا الليلة بقطر المغرب ... عندي شغل ضروري في مصر ... وانت عارف يا عليش افندي ... لولا إنك طلبتني بالتليفون أحضر أعاين بنفسى الجرارات الجديدة ما كنت تركت شغلي في مصر وحضرت! ... النهاية ... نشرب القهوة ونقوم بسرعة نلحق القطر.

الوكيل: إن شاء الله.

سعداوي (يتقدم نحو حامد بك): حصل لنا الشرف!

عوضين (يتقدم هو الآخر): حصلت لنا البركة!

البك: أنا والله في غاية التأثر!

الحاج (هامسًا وهو يجذب طرف ثوبيهما): سعداوي! ... عوضين!

سعداوي (يُخلِّص ثوبه ويهمس): ما لك؟!

الحاج (همسًا): ارجع إنت وعوضين ... واترك المعلم شنودة يتكلم.

سعداوي: وانا أخرس؟!

الحاج (هامسًا): هو أدرى بالموضوع.

سعداوي: هي مسألة عويصة؟! ... والله ما مخلوق يتكلم إلا أنا!

عوضين: سعداوي له حق ... الموضوع معروف لجميع أهل الكَفر ... تكلم يا سعداوي ولا يهمك ... تكلم.

سعداوي (موجهًا الكلام لحامد بك): عندنا كلمة بسيطة يا سعادة البك ... أقولها بالنيابة عن أهل البلد.

البك: تفضل ... تفضل!

شنودة (هامسًا): عيب يا جماعة ... انتظروا بعد ما يشرب القهوة ... هاتوا القهوة أولًا ... قدِّموا القهوة!

عوضين (صائحًا فيمن حوله): قهوة يا ولد!

سعداوي: من هنا لحين حضور القهوة نكون قلنا الكلمتين ... اسمع يا سعادة البك ... صلِّ على النبي!

البك: اللهم صلِّ عليه!

سعداوي: تصدق بالله؟ ... الكَفر كله عارف سبب تشريفكم الناحية!

البك: عارف سبب تشريفي؟!

عوضين: عندنا خبر بكل شيء يا سعادة البك!

البك (في دهشة): عندكم خبر؟

سعداوي: من ساعة وصولك المحطة.

البك: لا بد واحد من بلدكم قابلنا في السكة وعرف الحكاية!

عوضين: حصل.

البك: المسألة سليمة بحمد الله! ... ربنا قدّر ولطف ... وانتم أهل شهامة ... كلفتم خاطركم وطلعتم المحطة بحفاوة عديمة النظير ... ربنا يقدرني أكافئكم وأرد لكم بعض الجميل.

سعداوي: كلام طيب.

عوضين: كلام حلو كمثل الشهد ... صلِّ على النبي يا سعادة البك ... الموضوع انحل.

البك: أي موضوع؟!

الحاج (هامسًا لشنودة وخميس): الخوف من عوضين يخلط في الكلام ويعقّد المسألة ... ما دام ظهر إن البك عنده استعداد طيب، يكون الأحسن عدم الدخول في تفاصيل.

خميس (مناديًا): عوضين! ... تعالَ هنا في كلمة!

عوضين (يريد متابعة الكلام مع البك): اصبر يا خميس افندي ... اصبر!

خميس: قلت لك تعالَ بسرعة!

سعداوي: رُح لهم يا عوضين ... وأنا أسد عنك!

عوضين (ذاهبًا): عن إذن البك!

سعداوي: صلِّ على نبينا يا سعادة البك!

البك: اللهم صلِّ وسلِّم عليه!

سعداوي: بقى المسألة إياها ... وانت قلتها ... سليمة بحمد الله! ... بفضلك وفضل كرمك علينا.

شنودة (هامسًا للجماعة): نادوا سعداوي هو الآخر نفهِّمه قبل ما يغلط!

خميس (مناديًا): سعداوي! ... تعالَ في كلمة!

سعداوي: وبعدها لكم؟! ... اصبروا عليّ أشرح الموضوع للبك!

خميس: تعالَ حالًا ... عندنا كلام مهم!

سعداوي (للبك): عن إذن سعادتك.

(يتجه إليهم ... ويجتمع الأربعة ... ويتكلمون بصوت منخفض فيما بينهم ... بينما «حامد بك» ينظر إلى كل ذلك، ولا يفهم منه شيئًا، ويميل إلى وكيله «عليش أفندي» ويهمس في أذنه، وهو يشير بيده علامة عجزه عن فهم ما يقال وما يجري أمامه.)

الحاج (بصوت منخفض للأربعة): اسمعوا الخطة الواجب نتبعها، ولا بد من سماع كلامي بصفتي أنا المتولي الدفع: أولًا أنا جهزت لكم المبلغ في جيبي حسب الاتفاق ... وحيث إن البك أظهر قدامنا حُسن استعداده فمن رأيي عدم فتح الموضوع بالكلية؛ لأننا إذا فتحنا الباب ربما تحصل مساومة، ويقع بيننا وبينه خلاف على المبلغ، ونضطر ساعتها لدفع مبلغ أكبر يعجزكم ويضيع عليكم مزية الصفقة.

سعداوي: يعني من رأيك يا حاج عدم ...

الحاج: عدم المناقشة والمفاوضة ... نتقدم له في السر بورقة بمائة جنيه ندسها في جيبه، ونحلف إنه ما يردها ... ونفرح به، ونهتف له، وندبح له الدبيحة، ونوصله للمحطة بالسلامة من غير أخذ ولا رد.

عوضين: كلام معقول.

شنودة: ويرضى بمائة جنيه لا غير؟!

الحاج: إن استقلّها يبقى يحلها ربنا ... أنا على كل حال موجود تحت الطلب ... إن طمع في قرش زيادة لا مانع.

خميس: وفوق مبلغه ورقة بعشرة على الأقل، نغمز بها وكيله عليش أفندي ... الاعتماد على رضى الوكيل ضروري.

سعداوي: لك حق يا خميس افندي ... كلمة في صالحنا من وكيله مهمة ونافعة.

الحاج (يُخرِج المبلغ من كيسه): تفضلوا ... ورقة بماية وورقة بعشرة ... من فيكم يقوم بالمأمورية؟

عوضين: سعداوي يقبّض البك الماية.

سعداوي: وانت يا عوضين اغمز وكيله بالعشرة!

الحاج (وهو يناول كُلًّا منهما المبلغ): على خيرة الله!

خميس: المهم عدم فتح الموضوع.

شنودة: سدُّوا عليه الأبواب ... هو ووكيله ... سلِّموا كل واحد مبلغه في السر من غير ...

سعداوي: من غير ما نمكّنه من الأخذ والرد ... مفهوم.

شنودة: إذا نجحتم صارت لكم الصفقة الليلة بصفة نهائية!

عوضين: ننجح إن شاء الله!

(سعداوي وعوضين يتجهان إلى المصطبة حيث يجلس البك ووكيله.)

سعداوي (للبك محاولًا إيجاد مناسبة للكلام): شرّفت كَفرنا يا سعادة البك!

البك: متشكر يا ... أقدر أعرف اسمك؟

سعداوي: محسوبك سعداوي.

البك: اسمع يا سعداوي! ... الكَفر كان فيه فرح قبل حضورنا؟

سعداوي: الفرح بحضوركم يا بك!

البك: متشكر ... لكن ... لا بد يكون فيه مناسبة سابقة.

سعداوي: المناسبة انت عارفها، والكَفر كله عارفها!

البك: الكَفر عارفها؟!

سعداوي: تشريفك الناحية سببه معروف ... وكل مقصودنا إنك ما تخيّب أملنا، وتقبل منا ما قدّرنا عليه ربنا ... (يضع في جيب حامد بك الورقة ذات المائة جنيه.)

البك (في دهشة يُخرِج من جيبه الورقة المالية ويتأملها): فلوس؟!

سعداوي: تعويض بسيط يا سعادة البك ... وانت صاحب الفضل!

البك (لا يزال مندهشًا والنقود بيده): تعويض؟!

سعداوي: عن تعبك وحضورك الناحية!

البك: حضوري كان لشيء يخصني أنا ...

سعداوي: يخصنا جميعًا ... والله ما تجعل بيننا أي تكليف! ... المسألة بسيطة من أولها لآخرها ... وانت على كل حال صاحب الفضل علينا.

البك (ناظرًا في الورقة المالية): ورقة بمائة جنيه! ... إنت مجنون يا رجل انت؟! ... خد فلوسك!

سعداوي: والله ما تمس يدي!

البك: إنت تعطيني أنا مبلغ تعويض عما حصل لي؟ ... شيء عجيب!

سعداوي: أنا بالنيابة عن الكَفر كله.

البك: أنا متشكر وممنون لك وللكَفر ... لكن يعني ... أولًا الضرر بسيط ... ثانيًا التعويض منكم انتم غير مقبول.

سعداوي: مقبول ... والله مقبول ... بإذن الله مقبول.

البك: عجيبة! ... وما شأنكم إنتم؟ ... ما شأن كَفركم بالموضوع؟!

سعداوي: كَفرنا أحق من غيره!

البك: فهِّمني قصدك؟! ... كَفركم غني؟! ... المال عندكم بالكوم؟!

سعداوي: أبدًا يا بك! ... حالنا يعلم به ربنا.

البك: وتقدِّم لي مع ذلك، مبلغ تعويض ورقة بمائة جنيه!

سعداوي: قُدرتنا!

البك: شيء جميل!

سعداوي: إنت مستقل المبلغ يا بك؟! ... والله ما أكذبك ... إنت الصادق ... صحيح المبلغ قليل ... لكن اعذرنا ... حالتنا سيئة!

البك: حالتكم سيئة! ... شيء عجيب! ... (يلتفت إلى وكيله) رأيك يا عليش افندي؟

الوكيل: الحق إنه كَفر عجيب!

البك: حالته سيئة! ... ومقدم لي ورقة بمائة جنيه؟!

الوكيل (لسعداوي): عيب يا ... سعداوي! ... سعادة البك مقامه كبير.

سعداوي: أنا عارف إن مقامه كبير ... الكل هنا عارف مقامه ... ووالله لو كنا نقدر على قيمته، كنا زدنا المبلغ ... لكن ربنا هو العالم بالحالة.

(يأتي تهامي حاملًا القهوة.)

سعداوي: تفضلوا اشربوا القهوة ... وبعدها نتكلم.

البك: خد فلوسك أولًا!

سعداوي: والله ما أمد لها يدي!

البك: يا سعداوي عيب ... قبلنا الضيافة ... وقبلنا شرب القهوة ... لكن تقديم الفلوس ...

الوكيل: إنت عارف إن البك محتاج لفلوسكم؟!

سعداوي: أبدًا وربنا يديم عزه ... لكن حيث إنه حضر للناحية وتعب وكلف خاطره، وعطّل وقته؛ لا بد يقبل منا المبلغ البسيط!

البك: أقبل مبلغكم في نظير تعطيل وقتي، وتكليف خاطري؟!

سعداوي: أي والله! ... تعطيل يومك علينا ... ونفقة سفرك علينا ... وتعبك وحضورك علينا.

البك: شيء غريب! ... سامع الكلام يا عليش افندي؟!

الوكيل (في استغراب): سامع!

تهامي (يمد صينية القهوة): القهوة!

سعداوي: تفضلوا اشربوا القهوة ... قبل ما تبرد.

البك (حائرًا بالورقة المالية): والورقة؟

سعداوي: ردّها لجيبك يا بك!

البك: مستحيل! ... إنتم مجانين ... أنا أقبل ورقة بمائة جنيه من ناس مجانين؟! ... لا يمكن ... شيء غير معقول!

سعداوي: اشرب قهوتك!

(يتناول «البك» فنجان قهوة من يد «سعداوي» ويُشغل بشربه، وعندئذٍ يقترب «عوضين» من «عليش أفندي».)

عوضين (يضع الورقة ذات العشرة جنيهات في يده هامسًا في أُذنه): ساعدنا عند البك يا عليش افندي!

الوكيل (ناظرًا إلى الورقة المالية في يده مندهشًا): الله!

عوضين (هامسًا في أُذنه): والله ما تفضحنا! ... دسّها في جيبك في السر!

الوكيل (بعد تردُّد قليل يدسُّ الورقة بسرعة في جيبه): أمرنا لله!

تهامي (يتقدم بالقهوة إلى الوكيل): تفضل!

الوكيل (في حياء من البك): لا ... أنا ... سامحوني!

البك: اشرب ... اشرب قهوتك يا عليش افندي!

الوكيل (يتناول الفنجان): بعد إذن سعادتك ...

البك (هامسًا وهو ينظر إلى الورقة ذات المائة جنيه في يده): والعمل يا عليش افندي؟!

الوكيل (همسًا): والله رأيي رأيك يا بك إنه ... من الصعب إننا نجرح إحساسهم.

البك: نجرح إحساسهم؟! ... عجيبة! ... إنت حصل في عقلك شيء؟!

الوكيل: قصد سعادتك ...

البك: قصدي إنهم ناس في حالة غير طبيعية! ... ناس لا بد غرضهم التظاهر بكرم الضيافة والمعونة والشهامة، لدرجة السفه والغرور ... لكن كل شيء له حدوده.

الوكيل (همسًا): هم أحرار في فلوسهم يا بك!

البك (همسًا): أحرار في رمي فلوسهم ... يصح! ... لكن ... هل يجوز لنا نقبل مبالغ كبيرة بدون مقابل من ناس مجانين؟!

الوكيل: بدون مقابل؟ ... لا وانت الصادق يا بك ... المقابل موجود ... مجرد تشريفك بلدهم، يُعتبر في نظرهم حاجة كبيرة، تستحق عندهم دفع فلوس!

البك: لا ... لا ... لا ... أنا مستحيل أقبل ... (ينادي) اسمع يا سعداوي!

سعداوي (يتقدم بسرعة ويأخذ الفنجان الفارغ من يد «البك»): هنيًا يا بك!

البك: الله يهنيك ... اسمع ... خذ فلوسك من غير كلام!

سعداوي: يعني سعادتك رافض المبلغ؟

البك: طبعًا.

سعداوي: بصفة نهائية؟

البك (بلهجة قاطعة حاسمة): بكل تأكيد.

سعداوي: تسمح لحظة واحدة؟!

(يتركه ويتجه في الحال ناحية الحاج وشنودة وخميس ويهمس في آذانهم، ثم يأخذ من الحاج مبلغًا آخر.)

البك (وهو يتابع كل ذلك باستغراب): فهمت منهم حاجة يا عليش افندي؟

الوكيل (وهو ينظر إليهم حائرًا): والله ...

البك (وهو يراقبهم): حركاتهم غريبة!

الوكيل (للبك مُفسِّرًا): المسألة كلها عبارة عن دفع فلوس ... وكرم في كرم ... يظهر إنهم هنا باعوا محصولهم بسعر طيب ... وصحت معهم الزرعة ... لا دودة ولا ندوة، ولا آفة زراعية ... والأعمال بالنيات ناس كُرما ... هو الكرم عيب؟!

سعداوي (يعود): يا سعادة البك ... لك حق ترفض.

البك (وهو يمد له يده بالمبلغ): قلت لك ...

سعداوي: الكل عارف يا بك مهما نعمل ما نقدر نعطيك مقامك ... لكن اعذرنا ... (يضع في كف البك الممدودة بالورقة الأولى ورقة أخرى من فئة الخمسين.)

البك (في دهشة): ورقة ثانية بخمسين جنيه؟!

سعداوي: قُدرتنا!

البك (مندهشاً): تعطيني ورقة بماية وورقة بخمسين! ... إنت مجنون يا راجل انت؟! ... إنت تروح مستشفى المجاذيب! ... خُد فلوسك!

سعداوي: والله ما ترجع!

البك (صائحاً): خُد ... قلت لك خُد ...

عوضين (منضماً لزميله): والله ما تلزمنا!

البك: وأنا لا أقبل ... لا يمكن ... لا يمكن ...

سعداوي: عليّ الطلاق بالتلاتة ما ترجّعها!

البك: الطلاق؟! ... حصّلت تحلف بالطلاق؟!

عوضين: بستّين طلاق من بيتنا ما يخرج المبلغ من يدك!

البك (مندهشاً حائراً): شيء عجيب! ... أنا والله في عمري كله ما صادفتني حكاية بهذا الشكل!

الوكيل: ولا أنا يا بك ... لكن ما باليد حيلة!

البك (مستنكراً): ما باليد حيلة؟!

الوكيل: طبعاً يا بك ... بعد ما حلفوا بالطلاق أظن ما يخلّص سعادتك تخرب بيوتهم!

البك (متردداً): يعني ... قصدك نقبل؟!

الوكيل: هو الحل الوحيد.

البك (يفكر لحظة ثم يهمس للوكيل): نقبل على شرط نعوضهم بهدية مناسبة.

الوكيل (همساً): رأي في محله ... سعادتك تفكر لهم على مهلك في شيء مناسب!

البك (وهو يضع المبلغ في جيبه): أمرك يا سيد سعداوي ... إن شاء الله ربنا يقدرني أرد لكم الجميل، وأعمل لكم كل خير.

سعداوي (مهللاً هاتفاً): البك قبِل ... البك قبِل ...

عوضين (هاتفاً): يعيش حامد بك ... يعيش حامد بك أبو راجية!

الجميع: يعيش حامد بك أبو راجية!

تهامي: ندبح الدبيحة؟

سعداوي: اسألوا المعلم شنودة! ... ندبح الدبيحة ما دام الصفقة تمت؟

عوضين: ما دام الصفقة تمت ندبح ونطبل ونزمر.

البك (للوكيل): الصفقة؟ ... فاهم كلامهم؟!

الوكيل: أبدًا!

سعداوي (للبك): ما دُمت تكرمت علينا، وقبلت يا سعادة البك، وتم لنا الموضوع بحمد الله ... اسمح وشاركنا في الفرحة ... نتعشى الليلة بالفت ولحم الدبيحة ... الكفر كله الليلة يدوق اللحم ... من زمان ما داقه ... والطبل والأرغول والرقص والمواويل ... كل شيء جاهز.

البك (وهو يتحرك للقيام): كان بودّي ... لكن وقتي ضيق ... ولا بد أرجع بقطر المغرب.

عوضين: والله ما نسيبك قبل ما تتعشى ... عيب علينا! ... إنت صاحب الفضل ... تترك لنا الصفقة، ونتركك تسافر قبل ما تتعشى؟!

البك (متعجبًا): تركت لكم الصفقة؟!

عوضين: بالفلوس ... مفهوم ... لكن يعني على كل حال سعادتك تستحق الشكر!

الوكيل (هامسًا للبك): الفلوس كانت في نظير صفقة؟!

البك (للوكيل همسًا): الظاهر من كلامهم ...

الوكيل: الحكاية تعقدت ...

البك (همسًا): لا بد نفهم أصل الحكاية ... صفقة؟! ... صفقة من أي نوع يا ترى؟! ... صفقة قطن ... محصولات ... بذرة ... سماد ... أطيان ... بهايم!

الوكيل (همسًا): نسألهم؟

البك: انتظر! السؤال يكون بطريقة ملفوفة ... وبمنتهى الاحتياط.

الوكيل: أنا عليش! ... طول عمرك يا بك تعتمد على نباهتي! ... لحظة واحدة، وأنا أرجع لك بأصل الحكاية.

(يتركه ويتجه إلى «عوضين» وينتحي به جانبًا ويتهامسان ... بينما يشير «حامد بك» إلى «سعداوي» فيأتي إليه ... كل ذلك وأهل البلد منهمكون في إعداد وسائل احتفالهم.)

البك: اسمع يا سعداوي! ... الصفقة تمت والحمد لله!

سعداوي: بفضلك يا سعادة البك! ... والله ما ننسى فضلك العمر!

البك: بفضلي؟ ... أنا؟ ... الحقيقة أنا ...

سعداوي: الحقيقة إنك فضّلتنا على نفسك!

البك: فضّلتكم على نفسي؟! ... آه صحيح ... لكن يعني ...

سعداوي: والله ما هناك لزوم لكلامك ... إنت غرضك تتواضع وتقل من فضلك ... لكن الكَفر عارف، كفاية إنك قبلت ونفسك سمحت!

البك: نفسي سمحت؟! ... قصدك الصفقة؟

سعداوي: عمرنا ما ننسى إنك حرمت نفسك منها؛ لاجل خاطرنا!

البك: حرمت نفسي منها؟! ... تمام ... هي الصفقة عبارة عن ...

سعداوي: عبارة عن المقدار إياه ... إنت عارفه قبلنا وحضرت تعاينه!

البك: حضرت أعاينه؟ ... آه ... صحيح ... حضرت أعاينه ... قل وياي يا سعداوي ... المقدار ...

سعداوي: وما لك يا بك والمقدار؟! ... إنت خلّصت وارتاح قلبك!

البك: يعني الصفقة؟ ... نوعها؟ النوع؟

سعداوي: متوسطة والله ... وانت لا يخفى عليك أمرها ... ولا بد إنهم وصفوها لك.

البك: طبعًا! ... طبعًا!

سعداوي: أقول لك الحق يا بك؟ ... والله ما كانت تنفعك!

البك: وتنفعكم إنتم؟

سعداوي: حياتنا فيها يا بك! ... حياتنا فيها.

البك: حياتكم فيها؟!

سعداوي: رويناها بدمنا!

البك: فهمت ... هي بالتأكيد لا بد تكون ...

سعداوي: الحاصل ... سعادتك فاهم الأمر وما فيه!

البك: طبعًا! ... طبعًا! ... لكن يعني هي ... قل وياي يا سعداوي! ... هي ...

سعداوي: إنت مهتم بموضوعها بعد ما انتهى كل شيء على خير؟ ... قم يا بك افرح مع أهل البلد ... والله الليلة ما تُحسب من عمرنا ... (ينادي) اسمع يا تهامي! ... نادِ على ابني محروس يحضر توزيع الدبيحة ... ويستلم نصيب الولية في الدار ... عن إذن البكَ!

(يتجه سعداوي إلى ناحية تعليقة الدبيحة؛ حيث الأهالي متجمعة حولها، وكلٌ يمد يده؛ ليأخذ نصيبه، بينما حلّاق الكفر مشمر عن ساعديه ومشترك في الجزارة.)

(البك يضرب كفًا بكف شأن من لم يخرج من الموضوع بطائل.)

الوكيل (يعود ويهمس في أذن البك): عرفت الحكاية ...

البك: الصفقة من أي نوع؟

الوكيل: أطيان.

البك (كالمخاطِب نفسه): أنا فهمتها من ساعة قوله «رويناها بدمنا» ... لكن مع ذلك خفت يكون قصده زرِعة ... بذرة ... قلت لنفسي السكوت أستر ... طلع الموضوع صفقة أطيان ... معقول!

الوكيل: أطيان الشركة البلجيكية ...

البك: الشركة البلجيكية؟ ... عندها أطيان في زمام الناحية؟

الوكيل: عندها، وناوية تبيع للفلاحين بالتقسيط.

البك: قلت لي ... وفهموا إننا حضرنا نزايد عليهم ونخرج بالصفقة!

الوكيل: تمام ... وعرضوا على سعادتك تنزل لهم عنها ... وانت قبلت.

البك: قبلت؟

الوكيل: في نظير المبلغ المدفوع ... في جيبك!

البك (يضع يده في جيبه): ١٥٠ جنيه؟!

الوكيل: خلو طرف!

البك: غشّونا الملاعين! ... دخلوا علينا بالكلام الناعم ... ودسّوا في جيوبنا الفلوس من غير مناسبة ... حسبناهم مجانين وأهل كرم وتبذير، وإذا بهم ضحكوا علينا العفاريت!

الوكيل: وانت سعادتك تعجبك الصفقة؟

البك: لا بد إن سعرها بسيط ... وإن طارت منا يا عليش افندي نبقى مغفلين!

الوكيل: والمبلغ المدفوع؟!

البك: قصدك الـ ١٥٠ جنيه؟! ... نرميها لهم!

الوكيل: اترك لي الموضوع! ... لحظة واحدة!

(يتجه الوكيل ناحية «عوضين» ويهمس في أُذنه كلامًا، فإذا به يسرع وينادي «سعداوي»، ويجتمع الثلاثة بالحاج و«شنودة» و«خميس أفندي» ويتكلمون فيما بينهم.)

سعداوي: يعني رجع في الكلام؟!

الوكيل: لا ... فقط هو فهم إن التنازل عن جزء من الصفقة ... المسألة سوء تفاهم!

سعداوي: سوء تفاهم؟! ... بعد ما دبحنا الدبيحة ... وأهل البلد فرحوا؟

الوكيل: الغلطة غلطتكم ... كان الواجب عليكم فتح الموضوع بالصراحة؛ لاجل يفهم إن غرضكم هو خروجه من الصفقة كلها.

سعداوي: هو فهم غرضنا وقبل المبلغ.

الوكيل: المبلغ؟! ... ١٥٠ جنيه في نظير إخلاء طرفه من صفقة أطيان كبيرة؟! ... معقول يا ناس؟!

سعداوي: ويعني معقول إن «بك» كبير المقام يرجع في كلامه؟!

الوكيل: من حقنا ما دام حصل غش.

عوضين: غش؟!

الوكيل: طبعًا ... كل ما حصل منكم اسمه غش وتدليس.

عوضين: وتدليس؟! ... حصّلت؟! ... سمعتم؟!

شنودة: اهدا يا عوضين! ... المسائل حلها يكون بالهدوء ... وكل عقدة ولها حلّال.

سعداوي: عندك حل يا عليش افندي؟!

الوكيل: الحل: اتفقوا مع البك على اقتسام الصفقة ... هو يحتفظ بالجزء الأكبر طبعًا ... وانتم الباقي ... وأنا مستعد من جهتي أساعدكم على هذا الأساس.

عوضين: ما دمت على استعداد تساعدنا ... ساعدنا على أساس إنه يترك لنا الصفقة كلها ... لأن الزمام ضيق وعددنا كبير ... والفرصة فرصتنا.

الوكيل (بقوة): مستحيل يتركها لكم كلها.

عوضين: إنت لك تأثير عليه ... حلها لنا ولك.

الوكيل (يتظاهر بعدم الفهم): نعم؟!

عوضين (يهمس في أذنه): لك — كلام في السر — أتعابك.

الوكيل (يتردد ويلين قليلًا): المسألة صعبة!

عوضين: والله ما يصعب عليك شيء يا عليش افندي! ... عن إذنك!

(يجذب زملاءه، ويهمس في آذانهم، ثم يهمس الجميع في أُذن الحاج، فيُخرِج كيسه، ويناول عوضين ورقة مالية بعشرة جنيهات.)

عوضين (يدسُّ الورقة في يد الوكيل): والله ما يحلها إلا إنت!

الوكيل (يُخفي الورقة في جيبه بسرعة): البك لمحنا؟

عوضين: لا ... أبدًا ... سترها ربك ... اعتمادنا على الله وعليك يا عليش افندي!

الوكيل: اسمعوا الحل المفيد ... ادفعوا للبك قرشين علاوة!

سعداوي (للحاج)**:** هات خمسين جنيه يا حاج!

الحاج (يعطيه ورقة مالية بخمسين وينفّض كيسه)**:** والله ما بقى عندي مليم خلافها ... اعملوا حسابكم! ... قولتكم هات يا حاج! ... هات يا حاج! ... انتهى أمرها ... يكون في معلومكم!

الوكيل: خمسين جنيه؟! ... فقط؟!

خميس: إنت سامع كلام الحاج ... والحاج هو بنك تسليف البلد ... والبنك قال قدامك إنه أفلس وانتهى الأمر.

الوكيل: وإن رفض البك علاوتكم البسيطة؟!

سعداوي: والله ما عندنا غيرها.

عوضين: وإن اغتصب منا الأرض والله ما نزرع له فيها حبة ولو مُتنا من الجوع!

سعداوي: وهي لو ضاعت منا الأطيان يبقى لنا نفس نفلحها؟! ... انقل للبك كلامنا ... أنا والله ما أكلمه بعدما تكلمت ... نفسنا انكسرت ... وما في جهدنا عملناه، والكلام الحلو قلناه ... وكل من كان عمل بأصله ... وإن كان في نيته يغتالنا نشهِّد على ظلمه ربنا ... والبادي أظلم!

عوضين: والله ما يعرف يزرع فيها زرعة من غيرنا!

الوكيل: عنده الجرارات والآلات ...

عوضين: والله ما تنزل الأرض سليمة!

الوكيل: الكلام الجامد ما له لزوم ... اسكتوا واتركوا لي المسألة ... أنا أسوي كل شيء ... هاتوا الفلوس.

سعداوي (يعطيه المبلغ)**:** خُد! ... ربنا يطرح فيك البركة! ... إن نجح مسعاك لك عندي والله خروف على العيد الكبير!

عوضين: وأنا ... لك عندي كيلة قمح على عاشورا.

الوكيل: اتفقنا!

(يتركهم ويتجه إلى «البك» الذي كان طول الوقت ينظر إلى الفلاحات المتجمعات حول الذبيحة يتسلّمن الأنصبة ... وهو يفتل شاربه!)

البك (ملتفتًا إلى وكيله)**:** خير يا عليش افندي!

الوكيل: طلباتك مُجابة!

البك: فهموا إنهم غشونا ... وضحكوا علينا؟!

الوكيل: فهموا كل شيء.

البك: وعرفوا إن الأطيان لازمة لنا، وإن مبلغهم مردود؟

الوكيل: عرفوا.

البك: وجوابهم؟

الوكيل: الأطيان تحت أمرك!

البك: انتهينا ... نرد لهم فلوسهم يا عليش افندي ... ونقوم نعاين معاينة سريعة ... وبعد يوم أو يومين نتصل بالشركة ونباشر الإجراءات.

الوكيل: ورأي وكيلك؟

البك: رأيك؟

الوكيل: يصح تسمع رأيي.

البك: تكلم!

الوكيل: أنا غير موافق!

البك: إنت غير موافق؟ ... السبب ...؟

الوكيل: أولًا الصفقة فيها خسارة علينا؛ لأن أهل البلد اعتادوا استئجار الأطيان من الشركة ... والشركة اعتادت التساهل معهم ... ويظهر إن في نيتهم مشاكسة كل من يغتصب منهم الصفقة ... يعني بالاختصار المسألة فيها مجازفة كبيرة ... والضرر منها أكثر من المنفعة ... وأنا بالصراحة لا أضمن زراعة أطيان هنا ... ثانيًا ...

البك: ثانيا؟

الوكيل: ثانيًا أملاك سعادتك واسعة ... ومتاعبنا من زراعة الأطيان الكثيرة واستصلاح الأراضي البور ما لها نهاية ... والجرارات والكباسات من قديمة وجديدة غير كافية ... يعني نضيف وجع دماغ على وجع دماغ بدون فايدة ظاهرة.

البك: يعني مسألة كسل من جهتك؟!

الوكيل: أبدًا يا سعادة البك ... إنت تعرف إني كسلان؟! ... أنا كل غرضي مصلحتك وعدم رمي أموالك في أطيان ما لها لزوم بالنسبة لك.

البك: يعني غرضك نترك لهم الصفقة؟!

الوكيل: وهل ساعة حضورنا كان في دماغنا فكرة صفقة؟!

البك: لا ... لكن ما دمنا اكتشفناها بالمصادفة نسيبها تفلت من يدنا؟! ... حظ وهبط علينا من السما ... نتركه للناس؟!

الوكيل: نتركه لأصحابه!

البك: أصحابه؟! ...

الوكيل: أهل الناحية أولى بزمامها!

البك: قلبك مع أهل الناحية يا عليش افندي؟!

الوكيل: ومع سعادتك ... اسمع كلامي واترك لهم الفدانين؟!

البك: ونخرج من المولد بلا حمص؟!

الوكيل: سعادتك خرجت من المولد بمائة وخمسين جنيه، ما كانت في حسابنا ولا على بالنا!

البك: قلت لك تروح ترمي لهم المائة وخمسين جنيه، ترجع لي بكلام فارغ؟!

الوكيل: رجعت لك بعلاوة خمسين ...

البك: خمسين جنيه؟!

الوكيل (يناوله المبلغ): تفضل! ... يكون وصل سعادتك مبلغ مائتين جنيه بالتمام ... ما له؟! ... خسرنا حاجة؟! ... دخلنا الكفر بالطبل والزمر ... دماغنا فارغ وجيبنا فارغ! ... خرجنا بمبلغ وقدره بدون مجهود ... لمجرد السكوت ... يعني مكاسب على طول الخط بدون مجازفة، وبدون ما يخرج من جيبك مليم ... أبقى أنا رجعت بكلام فارغ؟!

البك: إنت متأكد إن الصفقة فيها مجازفة؟!

الوكيل: متأكد إن مكسبها المضمون هو مبلغ المائتين جنيه المدفوع نقداً في جيبك ... وقرش في اليد ولا عشرة على الشجرة!

البك (بعد تفكير): على رأيك ... ما كان على بالنا نقبض نقدية في يومنا ... ومن غير مناسبة ... قرش في اليد أضمن ... هات! ... على خيرة الله!

(يأخذ منه المبلغ ويضعه في جيبه.)

الوكيل: غير الترحيب والهتاف والدعوات الصالحات والعشا والفرجة ...

البك (وهو يختلس النظر إلى الفلاحات): الفرجة؟ ... والعَشا؟

الوكيل: نتعشى وما له؟!

البك: نتأخر ...

الوكيل: نجعلها بجميل ... ونقبل دعوتهم ... ما دام الكَفر احتفلوا بنا، ودعونا، وحيّونا، وقبّضونا ... على الأقل نشاركهم في فرحتهم!

البك (وهو يرمق بعض الفلاحات): بنات الكَفر! ... إنت لاحظت يا عليش افندي بنات الكَفر؟!

الوكيل (وهو يلتفت بفتور إلى الفلاحات): من جهة القوام ...

البك: القوام المعتدل ... شيء ... شيء يستلفت النظر!

الوكيل (متكلفًا التحمّس مُمالأةً للبك): حقا يا سعادة البك عيدان زان ... أو على رأي المثل: ولا غصن البان!

عوضين (ينادي في قلق وصبر نافد): يا عليش افندي!

الوكيل (يلتفت إلى أهل البلد): اطمئنوا! ... انتهى كل شيء على خير يا جماعة ... وتعالوا اشكروا سعادة البك!

(يبادر عوضين وسعداوي والحاج وشنودة وخميس ويُقبِلون على مكان حامد بك مستبشرين.)

سعداوي: البك قبِل؟!

الوكيل: قبِل لاجل خاطركم ... ولو إن فيها تضحية كبيرة! ... لكن سعادته تفضّل وتكرّم وتعطّف وقبِل يضحي بمصالحه، ويترك لكم كل الصفقة!

عوضين (في ارتياب): كلام جد النوبة؟

الوكيل: كلام نهائي.

سعداوي: على الله ما يكون بعدها رجوع!

البك: كلامي شرف يا سعداوي!

سعداوي: ونِعم بكلامك يا سعادة البك ... لكن ...

البك: قلت لك كلمتنا واحدة!

عوضين: نقرا الفاتحة؟!

البك: وهو كذلك ... نقرا الفاتحة!

(الجميع يقرءون الفاتحة مع البك.)

سعداوي (لشنودة): انتهينا يا معلم شنودة!

شنودة: مبروك عليكم!

سعداوي (يصيح في الجموع): مبروك يا أهل البلد!

عوضين (صائحًا): مبروك! ... مبروك! ... زغردوا يا نسوان! (تنطلق زغاريد النساء من كل جهة.)

الوكيل: اسمع يا عوضين! ... هاتوا رقصكم وفرّجوا البك.

سعداوي: الرقص والطبل والأرغول ... كل شيء جاهز ... إن شاء الله بعد العَشا.

البك: لا والله أرجوكم ... اعفوني من مسألة العَشا ... لأن معدتي في الحقيقة ...

سعداوي: والله لا يمكن أبدًا ... ولو لقمة صغيرة جبر خاطر.

البك: نتفرج أولًا ... ومن هنا لوقت العَشا يحلها ربنا.

سعداوي: أمرك ... يا عوضين ... اجمع الغوازي ... وانت يا تهامي نادِ على الزمارين والطبالين والمنشدين وخلافهم ...

(يهرع عوضين وتهامي وبعض الحاضرين مُصفّقين منادين في هرج ومرج ... ولا يلبث المكان أن يحتشد بالمشاهدين من الفلاحين والفلاَحات ... وتأخذ الغوازي في الرقص على صوت الطبل ونفخ الأرغول ... ثم تتعاقب ألوان الفن الشعبي الريفي من أغانٍ ومواويل وألعاب تحطيب ونحو ذلك ...)

البك (وهو طول الوقت يرمق مبروكة الواقفة بين المشاهِدات): ما شاء الله! ... ما شاء الله!

الوكيل: فرجة حلوة!

البك (ونظره لا يفارق مبروكة): تبارك الخلاق فيما خلق!

الوكيل: أما والله الرقص يا بك تحفة!

البك: اسمع يا عليش افندي! ... البت الواقفة على يمينك ... صاحبة الرموش الطوال ...

الوكيل (باحثًا): على يميني؟!

البك: واقفة هناك قدامك كأنها وردة مفتحة ... التفت لها وافتح عينك وانت تلحظها.

الوكيل (وهو يلتفت إليها): ما لها؟!

البك: رأيك فيها؟

الوكيل (يتأملها): مليحة!

البك: اسأل لنا عنها!

الوكيل: تلزم سعادتك؟

البك: تلزم الولد الصغير في البيت ... تقعد به ... تلاحظه ... تلاعبه ...

الوكيل: البك الصغير عنده الدادة الأفرنجية!

البك: وما له!

الوكيل: ولا شيء ... زيادة الخير خيرين!

البك: الدادة الأفرنجية شاخت وأصبحت مُهمِلة!

الوكيل: وشكلها أصبح يقرف الكلب!

البك: روح اسأل عن البنت قبل ما تغيب عن نظرنا!

الوكيل: غرض سعادتك إنها ...

البك: تسافر معنا مصر الليلة!

سعداوي (يقترب): لعل سعادة البك يكون انْسَرّ من الفرجة!

البك: وأي سرور؟! ... شيء لطيف حقيقة!

الوكيل: نسأل سعداوي وهو سيد من يقول لنا ... اسمع يا سعداوي ...

سعداوي: نعم؟

الوكيل (يشير بأصبعه): البنت الواقفة هناك ... صاحبة الرموش الطوال ...

سعداوي (وهو يلتفت): مبروكة؟

البك: اسمها مبروكة؟

سعداوي: ما لها يا سعادة البك؟

الوكيل: البك فكر إنه يطلبها تسافر معه مصر.

سعداوي (مصدومًا): تسافر معه مصر؟!

الوكيل: بصفتها دادة البك الصغير.

سعداوي: دادة؟! ... لا ... لا يا بك.

البك: لا؟!

سعداوي: مستحيل يا بك ... مستحيل.

البك: مستحيل؟! ... المانع؟

سعداوي: المانع إنها مخطوبة.

البك: والمخطوبة تقعد عاطلة من غير شغل؟!

سعداوي: شغلها هنا معنا في البيت والغيط.

البك: والشغل في غيطك أحسن أو في بيتي؟!

الوكيل: الخدمة في بيت البك شرف يا سعداوي!

سعداوي: مفهوم يا عليش افندي ... لكن ... مسألة سفرها صعب.

الوكيل: عيب يا سعداوي! ... عيب تعارض البك ... رُح نفِّذ الأمر!

سعداوي: أبحث للبك عن بنت غيرها.

البك: أنا طالبها هي ...

سعداوي: هي؟!

البك: هي بالذات ... مبروكة ... إنت فاهم؟!

سعداوي (متوسلًا): يا سعادة البك ...

الوكيل: البك طلب مبروكة ... يعني لا بد من حضور «مبروكة».

سعداوي: أصل المسألة إن مبروكة مخطوبة ...

الوكيل: عرفنا إنها مخطوبة ...

سعداوي: مخطوبة لابني ...

البك: لابنك؟!

سعداوي: ابني محروس ... وربنا عالم إن ما أخّر عقدها إلا كوني تصرفت في المهر ... لاجل الأرض.

البك: يعني من هنا لحين ما تدبر المهر لا بد لك من سنة على الأقل ... أنا أعدك وعد شرف إن بعد أقل من سنة أرد لكم البنت.

الوكيل: حل معقول.

سعداوي: أبوها موجود ... قولوا له ...

البك: أبوها؟ ... من أبوها؟

سعداوي (مناديًا): عوضين! ... تعالَ هنا يا عوضين!

عوضين (مُقبلًا): نعم؟

الوكيل: هو أبوها عوضين؟!

سعداوي: اسمع يا عوضين! ... البك طالب بنتك مبروكة تسافر معه مصر.

عوضين (مُفاجَأً): تسافر معه مصر؟!

سعداوي: بصفتها دادة البك الصغير.

عوضين (كالمفجوع): حصل في عقلك شيء يا سعداوي؟! ... مبروكة مخطوبة لابنك محروس!

سعداوي: قلت لهم!

عوضين: عيب عليّ أسيب بنتي تسافر وحدها وهي مخطوبة!

البك: وحدها؟! ... بنتك مسافرة في رعايتي!

عوضين: غرضي من غير مَحْرَم!

البك: أنا أحسن من المحرَم!

عوضين: مفهوم يا بك ... لكن كلام الناس ... كلام أهل البلد؟!

البك: وانت مغفل تسمع كلام أهل البلد؟

عوضين: يا سعادة البك ... نبحث لك عن غيرها.

البك: أنا طالب مبروكة بذاتها!

عوضين: ارحمني يا سعادة البك ... ارحمني!

الوكيل: خدمة البك شرف يا رجل انت! ... افهمها واعقلها! ... مِن سعد مبروكة بنتك إن البك اختارها هي من دون بنات الكَفر!

عوضين: مخطوبة يا بك ... مخطوبة ... ولولا العذر، وضياع القرشين في مُشترَى الأرض، كنت جهزتها وسترتها.

الوكيل: البك يمكن يرتب لها قرشين ويعوضك.

البك: طبعًا لا بد لها من مُرتّب.

الوكيل: مُرتبها — يا رجل يا مغفل — يساعدك في تدبير حق الجهاز.

عوضين: تقبلها على نفسك يا سعداوي؟! ... أقبلها أنا على نفسي؟! يقبلها ابنك محروس على نفسه؟!

سعداوي: وأهل بلدنا يا عوضين؟!

عوضين: والله ما نقدر نظهر بعدها في البلد!

الوكيل: هي جريمة يا جماعة انتم!

عوضين: السُمعة غالية يا عليش افندي!

البك (بنبرة تهديد)**:** أغلى عندكم من الأرض؟!

عوضين: ارحمنا يا بك!

سعداوي: إنت يا بك رجل طيب! ... ارحمنا وارحم سُمعتنا!

البك: ارحم نفسك أنت وهو من الخرافات! ... شيء خطير إن مبروكة تشتغل عندي؟! ... رجل في مركزي وسُمعتي! ... سُمعتكم إنتم غالية وسُمعتي أنا رخيصة؟! ... أقسم بالله ... يمين بالله إما مبروكة وإما الأرض!

سعداوي: الأرض؟!

عوضين: الأرض؟!

البك: اتركوا مبروكة تسافر مصر، وأنا أترك لكم صفقة الأرض!

سعداوي: لكن ... موضوع الصفقة انتهى ... وسعادتك أعطيت كلام شرف!

عوضين (في شبه ذهول)**:** والفاتحة؟ ... الفاتحة؟! ...

البك: كان فكري إن صفقة الأرض مهمة عندكم، ولذلك تخليت لكم عنها ... لكن اتضح إن مبروكة أغلى منها! ... وما دامت الصفقة أصبحت عندكم رخيصة وقليلة الأهمية، فأنا أولى بها!

عوضين (مذهولًا)**:** رجع في الكلام؟!

سعداوي (للوكيل في ذهول)**:** البك رجع؟!

البك: الرجوع منكم إنتم ... وعلى كل حال مفتاح المسألة في يدكم!

سعداوي: لا حول ولا قوة إلا بالله!

الوكيل: البك قال لكم إن المسألة في يديكم إنتم ... غلط؟! ... أبدًا ... كلامه في محله!

البك: إن سافرت وحدي الليلة يكون في معلومكم إني في ظرف يوم واحد أكون اتصلت بالشركة، واتفقت معها على جميع الأطيان.

الوكيل: اعقلوا وتفاهموا ... خسارة تضيع منكم فرصة العمر ... فرصة عمركم كله في حكاية فارغة ... دادة للبك الصغير تضيع كل شيء ... تضيع كل شيء على كِفركم كله ... اعقلوا ... اعقلوا!

سعداوي (يجذب عوضين من ذراعه)**:** تعالَ يا عوضين نتشاور!

(يتجهان إلى الناحية الأخرى، ويشيران إلى شنودة وخميس وتهامي والحاج الذين كانوا حاضرين يتتبّعون ما يجري عن بُعد ... ويجلس جميعهم على هيئة حلقة مشاورة، يتكلمون بصوت خافت، في حين يبقى «حامد بك» ووكيله في مكانهما يتهامسان مبتسمين.)

الحاج: وآخرتها؟!

سعداوي: قل لهم الحكاية الجديدة يا عوضين!

خميس: سمعنا الكلام كله!

سعداوي: سمعتم طلباته؟!

شنودة: سمعنا كل شيء.

سعداوي: ورأيكم؟!

الحاج: اسأل عوضين ... الرأي رأيه!

عوضين: مصيبة وانحطت علينا!

شنودة: هي مصيبة ... لكن ... لا بد لها من حل.

خميس: يظهر إنه متمسّك ... إما إن البنت تسافر، وإما إنه يرجع في كلمته ويخطف الصفقة ... وعليش افندي قالها ... إما إن الفرصة تضيع على الكَفر كله، وإما إن ...

سعداوي: يعني غرضك إن البنت تسافر؟!

خميس: المسألة تخصك إنت وعوضين ومحروس!

تهامي: وبقية الكَفر؟!

سعداوي: بقية الكَفر؟

خميس: ضروري ... إن ضاعت الصفقة بسببكم تبقى المصيبة على الكَفر كله!

تهامي: وعمره ما ينساها لكم ... كل ساعة يقول ضاعت علينا الأطيان بسبب بنت عوضين!

سعداوي: وانت يا تهامي أول من يقولها!

تهامي: وغيري يقولها ... إنتم نسيتم ما حصل لي ساعة ما تأخرت عن دفع مبلغي؟ ... المعلم شنودة حاضر وشاهد ... كلكم ... الكَفر كله قعد يقول: ما أخّرنا وعطّلنا غير تهامي ... قام في عقلي أسرق الولية ستِي! ... لاجل الكفر يسكت عني!

عوضين: سرقة ستك أهون!

تهامي: أهون من سفر بنتك؟!

عوضين: تسافر معه وحدها؟!

تهامي: وما له؟ ... تخاف عليها منه؟ ... راح ياكلها؟!

عوضين: وبعدها لك يا تهامي؟! ... نسيب مبروكة تسافر معه وحدها؟! ... والله كان محروس يقطع رقبته ورقبتها!

سعداوي: لك حق يا عوضين! ... الخوف من ابني محروس ... لو درى بالحكاية ...

تهامي (ينهض منصرفًا غاضبًا): طيب ضيعوا الأرض على البلد بكلامكم الفارغ! ... سلام عليكم!

عوضين: كلامنا الفارغ؟!

خميس (يستبقيه): اقعد يا تهامي! ... اقعد حل معنا الإشكال!

تهامي (وهو يعود إلى مكانه): الإشكال محلول! ... عم عوضين عامل من الحبة قبة!

عوضين: بذمتك لو كانت مبروكة بنتك أو أختك أو حريمك كنت تسيبها تسافر وحدها مع راجل غريب؟!

تهامي: رجل أكبر من والدها ... طالبها تلاعب ابنه الصغير! ... فيها شيء؟! ... فيها حاجة؟!

عوضين: اعمل لي انت من البحر طحينة وغرقني!

تهامي: اسمع يا عم عوضين! ... المسألة بسيطة وانت قاعد تكبرها في دماغك!

عوضين: تكلم يا سعداوي! ... إن قبلت انا تقبل انت؟ ... محروس يقبل؟!

سعداوي (في حيرة وضيق): والله ما انا عارف!

تهامي: الكلام المفيد انت وهو ... كل واحد منا يحسب حساب غيره ... كل واحد منا يضغط على نفسه وينظر لمصلحة الكَفر كله ... كلامي غلط يا معلم شنودة؟! ... كلامي غلط يا خميس افندي؟! ... كلامي غلط يا حاج عبد الموجود؟!

خميس: الحق ... مصلحة الكَفر واجب النظر فيها قبل كل شيء!

عوضين: يعني لاجل الكفر يمتلك الأرض؛ أخسر أنا شرفي؟!

تهامي: شرفك؟!

عوضين: شيء هين؟! ... شرفي شيء هين يا تهامي؟!

تهامي (ناهضًا): إنت حر ... إنت يا عوضين حُر تختار بين نفسك والكَفر ... بين مصلحتك ومصلحة الكل ... سلام عليكم!

خميس (يُقعِده): اصبر يا تهامي! ... اقعد! ... اقعد نتكاتف ونحل الموضوع!

تهامي: الموضوع كل ساعة يتعقّد! ... لكن كل ما كان يتعقد كنا نتكاتف بجد لحد ما نلقى له الحل ... قعدنا نجمع المبلغ من هنا ومن هنا والكَفر كله يدٍ واحدة ... لا يئسنا ولا خذلنا بعضنا، وآخرتها يطلع لنا من يقول بنتي وابني! ... والله الكَفر عمره ما هو مالك قصبة أرض ما دمنا اختلفنا ... وانا قلتها لكم!

خميس: اقعد يا تهامي وتكلم بالراحة!

تهامي: قعدت وتكلموا إنتم!

شنودة: عندي رأي ... اسألوا مبروكة ... هي نفسها تقدر تفهم الحكاية، وتقول لنا إن كان في السفر خوف عليها ...

خميس (ينهض مسرعًا): أنا أنادي لكم مبروكة.

سعداوي: من غير ما يشعر محروس!

خميس (وهو منصرف): طبعًا.

عوضين (في نبرة عتاب): يعني انت يا معلم شنودة موافق على سفر البنت؟!

شنودة: إذا قبلت هي ... ولو لمدة يومين ... لحين ما ننهي إجراءاتنا مع الشركة.

سعداوي: وإن خافت تسافر وخفنا عليها؟!

شنودة: يبقى إنتم أحرار.

تهامي: يعني يبقى إنكم إنتم ضيعتم الصفقة على البلد!

سعداوي: اسكت انت يا تهامي! ... قل لنا يا معلم شنودة ... عندك حل غير سفرها؟!

شنودة: لا ... ما دام البك مُتعنِّت ومُصمِّم ... وما دام الكفر له غرض في الأرض.

سعداوي (ملتفتًا إلى الحاج عبد الموجود): وانت رأيك يا حاج؟!

الحاج: والله أنا ملاحظ إن عين البك ما تحولت عن مبروكة طول ما هي واقفة الساعة تتفرج!

عوضين: يعني قصدك ...

تهامي: اسكتوا! ... مبروكة ظهرت ...
(يظهر خميس أفندي وخلفه مبروكة ... وعندئذٍ يلتفت حامد بك ووكيله ويتبعانها بالنظرات.)

عوضين (يُجلِس بنته بجانبه): تعالي يا مبروكة! ... اقعدي هنا ... اسمعي يا بنتي!

تهامي: الأحسن المعلم شنودة يقول لها ...

مبروكة: أنا عارفة ... خميس افندي قال لي!

سعداوي (لخميس): قلت لها؟!

خميس: قلت لها الموضوع في كلمتين!

عوضين (لبنته): قال لك عن مسألة السفر؟!

مبروكة (بغير تردّد): وأنا موافقة.

عوضين: موافقة؟!

مبروكة: أول ما قال لي إن البك اشترط سفري وإلا يرجع في الصفقة ويحرم البلد، قلت لا بد أسافر ...

عوضين: وحدك يا بنتي مع رجل غريب؟!

مبروكة: وما له؟! ... أنا صغيرة؟!

عوضين: عينه ما تحولت عنك يا مبروكة وانتِ واقفة هنا الساعة!

مبروكة: والله ما تخاف على مبروكة منه ولا من غيره!

عوضين: ونعرّض اسمنا يا بنتي؟! ... ونعرّض نفسنا لما نكره لَاجل خاطر الناس؟!

مبروكة: لاجل خاطر كَفرنا كل شيء يهون!

تهامي (متحمِّسًا): كلام حلو!

عوضين: ومحروس يقبل؟!

مبروكة: محروس نقول له إن عمتي أم رجب حصل لها تعب، وطلبتني في منية غطاس، وسافرت لها.

عوضين: وإن ظهر لك إن البك غرضه سيئ؟!

مبروكة: ساعتها أنا ...

خميس: أنا أقول لك ... أكتب لك في ورقة عنوان قريب ليّ، عطار في سيدنا الحسين ... وما عليك ساعتها إلا ترك بيت البك والسؤال عن قريبي صاحب العنوان، وهو يرجّعك للبلد هنا في الَحال.

مبروكة: اتكلوا على الله وعليّ ... أنا لا صغيرة ولا عبيطة ... أنا أقوم بها وزيادة!

شنودة: والحكاية كلها قلت لكم عبارة عن يومين، لحد ما نتخذ الإجراءات مع الشركة ... يعني المهم نضمن سكوت حامد بك لمدة يومين فقط ... وبعدها يكون خطره على

الصفقة زال، ونكون اتفقنا مع الشركة وانتهى الأمر.

تهامي: ما دامت كل الحكاية يومين اتكلوا على الله، والبركة في مبروكة!

عوضين: أمرنا لله! ... لاجل أرضنا نرضى بكل شيء!

سعداوي (وهو مُطرِق): روحوا قولوا له قبِلنا!

(تهامي يهبُّ مسرعًا، ويُخبر حامد بك بالقبول ... فيتهلل وجهه، ويفتل شاربه.)

عوضين (لخميس): اسمع يا خميس افندي ... خد مبروكة على حمارك وانتظر بها البك خارج البلد في السر.

خميس: مفهوم ... فكرة!

(خميس يمضي مع مبروكة ... بينما تتبعها أنظار حامد بك.)

البك: قولوا لمبروكة تستعد للسفر.

تهامي: مستعدة يا بك.

البك (ناهضًا): وأنا مستعد ... جهزوا الركايب!

الوكيل: والعَشا؟!

البك: إنت نسيت يا عليش افندي؟! ... سبق قلت لك ضروري من رجوعي الليلة مصر ... قل لهم اعفونا من مسألة العشا.

الوكيل (يتجه إلى ناحية عوضين وسعداوي): البك مسافر في الحال! ... وطالب معافاته من العشا ... (في صوت خافت) لكن يعني إذا كان لي أنا نصيب من الدبيحة، لا مانع من لفه في ورقة، مع جانب بيض وسمن إذا أمكن ... ومبروك عليكم الأرض!

سعداوي: رُح يا تهامي بالعَجَل هات مطلوب عليش افندي من دارنا أو من داركم ... كلنا واحد ... واربط له الحاجة على ركوبته.

البك (صائحًا): عليش افندي! ... إنت عندهم وانا مستعجل! ... عندك شغل هناك؟!

الوكيل: لا ... أبدًا ... ولا شيء!

البك: قلت لك ... قل لهم جهزوا الركايب!

الوكيل (صائحًا فيهم): الركايب!

شنودة: جاهزة! ... (صائحًا) هاتوا الركايب!

(يظهر بعض الفلاحين يقودون الحصان والحمار اللذين جاء عليهما البك ووكيله.)

البك (قبل أن يركب): ومبروكة؟!

شنودة (همساً للبك): مبروكة سبقت ومنتظرة خارج البلد.

البك (يمتطي حصانه): والزفة؟!

شنودة: الزفة؟!

البك: طبعًا زفتكم المعهودة ... فهِّمه يا عليش افندي.

الوكيل (وهو يمتطي الحمار): سعادة البك يقصد ترحيبكم وتهليلكم، وطبلكم وزمركم!

البك: يعني نحضر بزفّة ونروح بسكتة؟!

شنودة (معتذرًا عن جو الفتور): الكَفر مشغول بتجهيز عشاه!

البك (وهو يتحرك بالحصان): نهايته ... سلام عليكم!

(سعداوي وعوضين والجميع لا يتحركون من مكانهم، ويجيبون بفتور: وعليكم السلام! ... وما يكاد حامد بك ووكيله يغادران الساحة، حتى يهب عوضين وسعداوي والجميع واقفين منادين.)

عوضين: يا أهل البلد! ... هاتوا المداسات العتيقة وارموها وراه ... هاتوا القُلل الفخار القديمة واكسروها وراه ... داهية لا ترجعه!

الجميع (يتجمعون ويصيحون): داهية لا ترجعه! ... داهية لا ترجعه! ...

(ويأتي أهل الكَفر بأوانيهم الفخارية القديمة، والنعال العتيقة، ويقذفون بها خلف الراحلين المبتعدين.)

---

[1] في حالة التمثيل بلا مناظر في الهواء الطلْق يُكتفى بدكّة خشبية بدل المصطبة.

الفصل الثالث

(نفس الساحة بالكَفر ... وعوضين جالس على المصطبة وحده، وهو مُطرِق ورأسه بين كفّيه ... بينما تُسمع عن بُعد دقات دفوف، وأصوات نادبة تُعدِّد، ونُواح نساء ... وفجأة يظهر سعداوي، وعليه مظاهر الاضطراب.)

سعداوي (لعوضين): إنت قاعد هنا ... ولا عندك خبر؟!

عوضين: سيبني في حالي يا سعداوي!

سعداوي: وآخرتها؟! ... من ساعة سفر بنتك مبروكة وانت حامل هَمِّ الدنيا كلها ... وهي ما غابت غير ليلتين ... قم اسمع المصيبة!

عوضين (بغير اهتمام): المصيبة صوتها مسموع لحد هنا ... عندك دق الدفوف واصل ... وعديد النادبة ونواح النسوان!

سعداوي: قصدك وفاة الحُرمة ست تهامي؟! ... ومن قال إنها مصيبة؟! ... أنا في همي أنا ... فيما حصل لي ...

عوضين (ملتفتًا إليه باهتمام): ما حصل لك؟! ... حصل شيء لا سمح الله؟!

سعداوي: مصيبة حقيقية! ... وقعت على دماغي ... وجايز تقع على دماغك!

عوضين: على دماغي؟! ... غير ما وقع؟!

سعداوي: دبرني يا عوضين! ... العمل؟!

عوضين: وانا عرفت الموضوع؟ ... قل لي أصل الحكاية.

سعداوي: الولد محروس ...

عوضين: ما له؟

سعداوي: اختفى من البلد!

عوضين: اختفى؟!

سعداوي: واحد من أهالي الناحية لمحه في قطر الليل البارح! ... وانا فاهم إنه بايت في الغيط ... في مناوبة الري!

عوضين: يعني سافر؟!

سعداوي: سافر ... والخوف يكون غرضه يلحق مبروكة!

عوضين: في منية غطاس؟

سعداوي: في مصر يا أخي!

عوضين: مصر؟! ... ومن قال له إنها في مصر؟! ... كان الترتيب والاتفاق نقول له إنها سافرت عند عمتها أم رجب في منية غطاس ... إنت نسيت يا سعداوي؟!

سعداوي: لا ... أبداً ... من جهتي أنا عارف ومتنبه للاتفاق والترتيب، وقلت له وفهّمته ... ولو كان صدّق كلامي ما كان سافر ... لكن يظهر إنه بلغه شيء ... ولا يسلم الحال من لسان واحد انفلتت منه كلمة ... وعين حامد بك كانت ناطقة بالفُجْر وقلة الحيا ... والبنت خرجت قدام أهل البلد، قبل خروجه بوقت بسيط، يعني ...

عوضين: يعني يكون ابنك محروس عرف الحقيقة؟!

سعداوي: كونه سافر من غير ما يقول لنا معناه إنه ...

عوضين: معناه إنه نوى على الشر!

سعداوي: لو كان في نيته يروح يقتل حامد بك، قل على الصفقة يا رحمن يا رحيم! ... خصوصاً والمعلم شنودة ما رجع لنا من ساعتها بِرد ولا بخبر! ... والمسألة واقفة، وانت عارف؛ لأن الخواجة المدير في إسكندرية من يوم السبت، وشنودة قاعد منتظره في الشركة من الفجر.

عوضين (شارداً): محروس سافر يقتل حامد بك؟!

سعداوي: تبقى مصيبة على دماغنا!

عوضين: على دماغي أنا ... وانت قلتها يا سعداوي! ... فكرك راح ناحية حامد بك ... لكن أنا فكري في «مبروكة» بنتي.

سعداوي: بنتك؟ ... ما لها؟!

عوضين: محروس ربما طلع في عقله يقتل البنت!

سعداوي: يقتل مبروكة؟!

عوضين: من عارف؟! ... تصور له الأفكار خلاف الحقيقة ... والشباب طايش!

سعداوي: محروس؟! ...

عوضين: وإن عملها يا سعداوي؟!

سعداوي: يقتل مبروكة؟! ... وقلبه يطاوعه؟!

عوضين: الغيرة! ... الغيرة تعمي القلب والبصر.

سعداوي (بعد لحظة): آه ... لو كنا عقدنا عليه وعليها ...

عوضين: والأرض يا سعداوي؟!

سعداوي: الأرض؟! ...

عوضين: الأرض ... كنا نتركها؟!

سعداوي (ثائرًا): الأرض ... الأرض ... ويعني هي الأرض نلناها؟! ... لا نلنا الأرض ولا قعدنا بأولادنا! ... أرض ما ظاهر لنا أرض ... وآخرتها نخسر الأولاد! ... أولادنا يا عوضين! ... يعني لو جرى شيء للأولاد — لا سمح الله! — بنتك قتلها ابني، ودخل السجن، أو شنقوه ... نفرح؟!

عوضين (في قلق): والحاصل من كلامك؟!

سعداوي: أنا طالب رأيك انت ... دبرنا!

عوضين: ما هناك غير طريقة واحدة ... نقوم نسافر أنا وانت مصر حالًا.

سعداوي: نسافر مصر؟!

عوضين: نلحقهم!

سعداوي: فاتنا الوقت يا عوضين ... الولد سافر قبلنا بمدة ... إن كان في نيته العَملة يكون عملها وانتهى الأمر.

عوضين (بقلق ويأس): والحل؟!

سعداوي: والله ما انا عارف!

عوضين (بعد لحظة إطراق): يعني من يوم حكاية الصفقة ما لقينا راحة!

سعداوي: الكعكة في يد اليتيم عجب! ... على رأي المثل!

عوضين: نخرج من نُقرة نقع في نُقرة!

(تهامي يظهر مُسرعًا.)

تهامي: إنتم هنا وانا واقع في مصيبة؟!

سعداوي: تفضل يا سيدي!

عوضين: مصيبته سهلة!

تهامي: سهلة؟!

عوضين: سبق لنا فيها العزا يا تهامي! ... قلنا لك قبل الدفن: البقية في حياتك! ... هي التعزية كل ساعة يا أخي؟!

تهامي: ومن قال إني طالب منكم تعزية؟! ... الحكاية كانت على يدكم من أولها! ... المرحومة استخونتني وسلمت القرشين للحاج عبد الموجود قبل موتها ... والحاج قام الصبح بالدفن قدامكم.

سعداوي: وحضرنا الدفن والذي منه ...

تهامي: المصيبة بعد الدفن ... ما أشعر إلا وجارتنا أم السعد جمعت النسوان، والندّابة حضرت وابتدا الشغل إياه! ...

سعداوي: وما له؟!

تهامي: والفلوس؟! ... هي الندابة لوجه الله؟! ... لا بد لها من أجرة ... ولمة النسوان لا بد لها من عشا ... سألت أم السعد قالت لي: المرحومة حسبت حساب الموضوع كله وكلفتها بمسألة الندّابة وخلافها، وقالت لها: الفلوس عند الحاج عبد الموجود، هو المتكفل بجميع النفقات ... من كفن ودفن وعشا وصدقة وكل شيء ... لأنه استلم منها القيمة كلها مقدماً.

سعداوي: عندك الحاج عبد الموجود ارجع عليه.

تهامي: الحاج عبد الموجود فص ملح وداب!

عوضين: اختفى؟! ... هو الآخر؟

تهامي: اختفى؟!

سعداوي: شيء غريب!

تهامي: دبروني ... دبروني! ... من هنا لغاية الليل لا بد من عشا يجهز ... خصوصاً ولمة النسوان كل ساعة تكبر ... والندّابة ناوية تقوم تعملها فُرجة، وتمشي بالنسوان في الكَفر، والدفوف تدق وبقية الحريم والبنات والصبيان تتجمع ... وآخرتها يسكت الندب والعديد، ونسمع من يزعق ويقول: مطلوب عشا للجميع!

سعداوي: صدقت يا تهامي ... هنا الكلام!

تهامي: هنا المصيبة ... الحقيقية!

عوضين: الحاج عبد الموجود عملها!

تهامي: عملها! ...

عوضين: أكل عقل المرحومة لحد ما أعطته كل ما عندها!

تهامي: كُل ما عندها وحرمتني ... خافت مني ومن حكاية الصفقة والأرض ... وانتم أسياد العارفين ... كنت أنا أَوْلى بالفلوس.

سعداوي: على كل حال رغبتها نفذت وخرجت بكفن من الغالي ... ما خرج به ميت في بلدنا قبلها!

تهامي: كفن سبعة أدراج من حرير ودبلان ... أشكال وألوان! ... اشتراه لها الحاج عبد الموجود قبل وفاتها من البندر!

عوضين: سبحان الله!

تهامي (مستمرًا في كلامه): وكانت فرحانة به، وتباهي به الجيران؛ كأنه توب عرس!

(يُسمع دق الدفوف يقترب.)

عوضين: الزفة حضرت!

(وعندئذٍ تظهر الندّابة وخلفها جماعة النسوان، وتدق الدفوف الكبيرة، ويمر الموكب على حسب التقاليد الشعبية المعروفة في مثل هذه الأحوال، مع ترديد الكلام والعديد والنواح المتعارف عليه في هذا اللون الشعبي.)

تهامي (بعد مرور الموكب): والحل يا جماعة؟! ... صرفوني!

سعداوي: لا بد إن الحاج عبد الموجود عامل حسابه يحضر قبل العَشا بدبيحة أو لحم وأكل من الناحية.

تهامي: وإن غاب؟! ...

عوضين: يكون غرضه يهرب بجد بفلوس ستك!

تهامي: وساعتها أنفضح أنا؟!

عوضين: أمرك لله!

تهامي: والله لو كان في نيته خير ما كان اختفى من الصبح، وتركني للفضيحة قُدام النسوان!

(خميس أفندي يظهر.)

خميس: البقية في حياتك يا تهامي!

تهامي: حياتك الباقية يا خميس افندي!

خميس: إنت هنا يا تهامي والمحزنة هناك؟

سعداوي: سيبه في حاله ... مصيبته كبيرة!

خميس: الحق ... المرحومة كانت وليّة طيبة صالحة.

عوضين: قل لنا يا خميس افندي؛ الحاج عبد الموجود ...

خميس: ما له؟ ... سافر الصبح البدري في أول قطر.

تهامي: سافر؟!

خميس (باندفاع): طبعًا ... كالمعتاد!

تهامي: المعتاد؟!

خميس: قصدي ... يعني ... هو له عادة يسافر البندر في أيام ... معينة!

تهامي: يسافر يوم المحزنة ومعه الفلوس؟! ... غرضه يهرب؟! ... غرضه يفضحني؟!

خميس: غرضه حاجة تانية!

عوضين: قل لنا غرضه يا خميس افندي وحياة عينيك.

خميس: هو يقول لكم ... انتظروه!

تهامي: عندك أمل في حضوره؟

خميس: ضروري يحضر ... أنا فاهمه!

عوضين: كلامك فيه شيء يا خميس افندي!

خميس: أبدًا ... كلامي واضح.

عوضين: حقيقي ... هو معتاد يسافر في أوقات مخصوصة ... أنا ملاحظها.

خميس: وأنا مخزني في سكة المحطة ... وملاحظ طبعًا!

سعداوي: والسبب؟

عوضين: قل لنا يا خميس افندي! ... تخفي علينا؟

خميس: اسألوه هو ... صاحب الشأن!

تهامي: وشرفك تقول!

خميس: وانا ما لي ... سلام عليكم. (يتحرك للانصراف.)

تهامي: اصبر يا خميس افندي!

خميس: عندي شغل متأخر في المخزن.

سعداوي: والمعلم شنودة، رجع من الشركة؟

خميس: لا.

عوضين: وأخبار الخواجة؟

خميس: والله ما عندي خبر ... أنا قاعد من الصبح في المخزن.

تهامي: يعني إنت متأكد إن الحاج عبد الموجود راجع؟

خميس: العصر يكون هنا ... هو لا يحتاج إلا لمسافة السكة ... يروح البندر ويرجع في نفس اليوم ... كالمعتاد!

(ينصرف بابتسامة غريبة.)

عوضين (مردداً): كالمعتاد!

تهامي: والله ما انا فاهم ... إنتم فهمتم؟!

عوضين: كلامه فيه شيء!

تهامي (صائحًا خلف خميس): اسمع يا خميس افندي! ... وإذا هرب بالفلوس ... تدفع انت نفقات المحزنة؟!

خميس (صائحًا من بُعد): وقتها أقول لكم السر!

تهامي: السر؟

خميس (من بُعد يصيح): رجعتِ يا مبروكة؟! ... مبروكة رجعت يا عوضين!

عوضين (منتفضًا): مبروكة رجعت؟!

سعداوي: الحمد لله!

(مبروكة تظهر.)

عوضين (يقابلها متأثرًا): رجعتِ يا مبروكة بالسلامة؟!

مبروكة: وربك سترها لاجل خاطرك!

عوضين: نحمده ونشكره يا بنتي ... نحمده ... قولي لي ...

سعداوي (بلهفة): محروس ابني قابلك يا مبروكة؟!

مبروكة: ورجع معي ... راح يعزي في داركم يا تهامي ... البقية في حياتك!

تهامي: حياتك الباقية يا مبروكة.

مبروكة: قالوا لي: أبوكِ هنا ... قلت أسبق أبلغه برجوعي قبل ما أروح داركم.

تهامي: خير ما عملتِ يا مبروكة ... وانا أقدر أقرب دارنا الساعة؟! ... أبوكِ يحكي لك عن ورطتي!

سعداوي: أخطف أنا رجلي، أبلغ ابني إنك هنا يا تهامي!

مبروكة: عندي خبر مهم يا عم سعداوي ... اسمعه قبل ما تروح!

سعداوي: خبر مهم؟

مبروكة: البك ... حامد بك أبو راجية ... ضحك علينا!

الجميع (معًا)**:** ضحك علينا؟

مبروكة: ضحك على الكَفر كله! ... نصب على الكَفر كله!

عوضين: نصب على الكَفر؟!

تهامي: وقْعتنا طين!

سعداوي: احكي لنا يا مبروكة!

مبروكة: يوم حضوره البلد كنا كلنا فاهمين إنه حضر لاجل الأرض ... لاجل الصفقة ... لا ... أبدًا ... أبدًا ... أبدًا ...

الجميع (في دهشة وقلق)**:** أبدًا؟!

مبروكة: أبدًا ... لا كان في دماغه حكاية أرض ... ولا في باله مسألة صفقة ... ولا كان عنده علم بشيء من أصله؟!

الجميع: عجايب!

مبروكة: والكَفر كله بسلامته حط في جيبه الفلوس، من غير لزوم، وخرج هو من البلد يضحك علينا!

الجميع: يعني قصدك ...؟

تهامي: يعني كان حضر البلد لمسألة غير مسألة الصفقة؟

مبروكة: حضر صدفة ... حصلت له حادثة كسرت له الكومبيل، وقعد في المحطة لاجل يرجع بالقطر ... وما شعر إلا والكَفر كله يطلع بالزفة — على قوله — ويدفع له نقدية! ... الحكاية عرفتها كلها من لسانه هو ... قعد يحكيها في بيته بين أهله وهو واقع من الضحك! ... وانا قاعدة على جنب سامعة.

عوضين: أما فصْل يا جماعة!

سعداوي: أما مَقلب!

عوضين: الحاصل من الكلام ...

سعداوي: إننا طلعنا ...

تهامي: طلعنا مغفلين!

محروس (يظهر): أَنعِم وأَكرِم!

عوضين: سمعت يا محروس؟!

محروس: مبروكة قالت لي كل شيء في السكة.

سعداوي: وانت يا محروس يا ابني يصح تسافر من غير ما تقول لي؟!

محروس: وانا كان ساعتها في دماغي عقل!

عوضين: يعني دفعنا نقدية للبك من غير مناسبة! ... والصفقة يعلم بأمرها ربنا ... ما نعرف تمت أو خسرت ... وخرجنا من المولد بلا حمص!

تهامي: والعجيبة إنه قبل الفلوس! ... يقبلها بأي صفة؟!

سعداوي: حقيقي ... يقبلها منا — من الكَفر المسكين — بأي وجه؟!

عوضين: نصْب ... نصْب واحتيال ... نصّاب!

محروس (بصوت خافت لوالده): كنت أنا أَولى بالفلوس ... كان زماننا دفعنا المهر وعقدنا العقد!

سعداوي: حقا يا ابني! ... لو كنا عارفين ما فيها ما كان حصل ... لكن قلنا: كل شيء يهون لاجل أرضنا.

تهامي: والعمل يا اخواننا؟!

سعداوي: ولا حاجة! ... انضحك علينا!

عوضين: وأي ضحك! ... نحط له الفلوس في جيبه بأيدينا يا ناس! ... ونقول له: مع ألف سلامة!

سعداوي: خفنا من خيالنا! ... اسكت يا عوضين! ... الفلاح منا معذور! ... بك كبير مقتدر ومعتاد يشتري ويزايد ويجمع الأراضي والأطيان ... إذا ظهر لنا ساعة صفقة نطمئن أو نخاف؟ ... عارف حكاية التّعبان ... أول ما يظهر ويفتح شدقه تلقى العصفورة من الخوف راحت واقعة من نفسها في فمهَ!

عوضين (في تنهُّد الحسرة): غلطة منا!

سعداوي: غلطة كبيرة!

تهامي: وسكت عنا؟ ... ولّا غرضه يسحب كلامه من جديد ويرجع يفسد لنا الصفقة!

سعداوي: الخبر عند مبروكة ... قولي لنا يا مبروكة ... ظهر لك شيء منه؟!

مبروكة (في فرح وانتصار): سليمة والحمد لله ... واسألوا محروس!

محروس: مبروكة عملت فيه عَملة تساوي ألف جنيه!

الجميع (في دهشة)**:** عملتْ فيه عَملة؟!

محروس: عَملة جامدة!

الجميع (بلهفة)**:** قل لنا ... قل لنا ...

محروس: أنا سافرت من هنا، وأقول لكم الحق، كان في نيتي الشر ... لكن ربنا سلّم! ... أول ما وصلت مصر سألت عن بيته دلوني! ... رحت هناك لقيت الدنيا قايمة قاعدة ... والبوليس ضارب الحصار على البيت!

سعداوي: البوليس؟!

عوضين (في ارتياع)**:** مبروكة!

محروس: اصبر يا عم عوضين ... مبروكة قدامك بخير!

عوضين: عملتِ حاجة يا مبروكة؟! ... قولي ... قولي الحق!

مبروكة: أنا مستحية أتكلم.

عوضين: لا ... قولي ... قولي يا بنتي!

مبروكة: الحقيقة أنا ساعة ما سمعت منه إنه نصب علينا، وكَفْرنا أَولى بالقرش، قام في عقلي أخطف محفظته من جيبه بعد ما ينام وارجّع فلوسنا!

عوضين: بالسرقة يا مبروكة؟!

مبروكة: من غيظي!

عوضين: لا يا بنتي ... لا ... عيب ... عمرنا ما عملناها ... لا أبوكِ ولا أمك ولا أجدادك ... ولا كَفرنا بحاله!

مبروكة: عارفة ... عارفة ... والله يدي ما تقدر تعملها ... لكن قام في عقلي أعمل حاجة والسلام!

عوضين: وعملتِ؟!

مبروكة: قمت بشيء نافع ... فكرت في قولكم: لو نضمن سكوت حامد بك ولو لمدة يومين ... قلت في نفسي لا بد أدبر تدبير يحجزه في بيته اليومين، لا يخرج ولا يدخل، وأبعد شره عني وعن البلد ... وساعتها ربنا فتح عليّ، ونوّر عقلي بفكرة حلوة.

عوضين: خير؟!

مبروكة: خطر على بالي يوم ما قالوا الصحة عندها اشتباه في طاعون الكوليرة ناحية عزبة المحامدة بحري بلدنا ... وعساكر النقطة حضروا، والهجانة عملوا كردون على

العزبة، ما بقى واحد يخرج ولا يدخل!

عوضين: حكاية بقى لها خمس سنين!

مبروكة: عملْتها!

عوضين: إنتِ؟!

محروس: عملِتْها فيهم يا عم عوضين ... مبروكة دماغها كبير يا عم عوضين ... دماغها كبير!

مبروكة: بعد العشا ... رحت مدخّلة يدي في حلقي لاجل أستفرغ! ... واستفرغت كل ما في جوفي ... قالوا لي: ما لك؟ ... قلت لهم: قبل حضوري كنت في عزبة جنبنا، فيها اشتباه كوليرة! ... ولا بد يكون عندي كوليرة ... أنا قلتها والبيت كله قام يصرخ ويقول الكوليرة ... الكوليرة ... والدكتور حضر، وأمر بنقلي للعفنة ... يعني مستشفى الحميات ... وبلّغ الصحة، والصحة قامت وقعدت وقالت: لا بد من عزل البيت كله ... والبوليس حضر وحاصر البيت، وعملوا عليه الكردون ... وحامد بك حصل له وهْم وبقى يستفرغ؛ من خوفه ورعبه هو وأهل بيته من صغار لكبار ... ووالله ما برد لي قلب إلا بعد ما شاهدت حالته بعيني ... وقلت ما جرى له يساوي أكثر من فلوسنا!

عوضين: ونقلوكِ المستشفى؟

مبروكة: نقلوني ... وقعدت هناك الليلتين، لحد ما فحصوني، وطلعت الحالة سليمة ... والصحة استعلمت من المديرية هنا أفادوا بعدم وجود حالة وباء ولا أي اشتباه ... وعنها وصرفوني ... خرجت لقيت محروس في انتظاري على الباب.

محروس: نمت الليلتين على باب المستشفى ... بعد ما قالوا لي هناك في بيت البك — من ورا حصار الكردون — إن مبروكة نقلوها للعفنة.

سعداوي: والله حيلة طيبة يا مبروكة!

تهامي: حقا ... طلعت واعية! ... عرفت تخلصنا، وتحجز البك في بيته يومين!

عوضين: وتخلّص نفسها من شره!

محروس: مخها كبير يا عم عوضين! ... مخها كبير!

سعداوي: عشتِ يا مبروكة! ... عشتِ لنا كلنا يا مبروكة!

تهامي: أنا قلتها قبل سفرها ... قلت لكم اتكلوا عليها ... عيني كلها نظر ... راحت ونفعتنا وبرّدت نارنا.

عوضين: وبالشرف!

مبروكة: الحمد لله.

(خميس أفندي يظهر مسرعاً.)

خميس: الحاج عبد الموجود حضر يا تهامي!

تهامي (بلهفة)**:** حضر؟!

سعداوي: ما دام حضر الساعة يا تهامي اطمئن!

خميس: أنا أول ما لمحته في السكة، رجعت بسرعة أبلغك.

تهامي: الله يسترك يا خميس افندي!

عوضين: وانت ضامن يعترف إن في ذمته نفقات المحزنة؟!

تهامي: أم السعد شاهدة عليه!

خميس: أنا على كل حال هنا ... جمِّد قلبك يا تهامي!

مبروكة (ملتفتةً)**:** الحاج ظهر.

الحاج (يظهر)**:** سلام عليكم!

الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!

تهامي: الله! ... يدك فارغة يا حاج ... وكلنا في انتظارك!

الحاج: في انتظاري؟!

تهامي: قلنا إنك راجع من البندر باللازم ... المحزنة منصوبة ... وانت عارف إن العَشا لا بد منه.

الحاج: يعني غرضك أحْضَر العَشا؟

تهامي: ضروري.

الحاج: فضل منك يا تهامي!

تهامي: لا بد يا حاج إنك حسبت حساب كل شيء.

الحاج: أبداً والله ما كان على بالي أتعشى عندك الليلة!

تهامي: قصدي حساب تكاليف المحزنة.

الحاج: يا سيدي! ... ربنا يهونها عليك!

تهامي: يهونها علي أنا؟! ... ويهونها عليك انت!

الحاج: وانا لي شأن؟!

تهامي: عجايب! ... إنت المتكفل بكل شيء يا حاج عبد الموجود!

الحاج: أنا المتكفل بكل شيء؟!

تهامي: من جميعه ... الخرجة، والدفنة، والمحزنة، والندّابة، والعَشا، وخلافه ...

الحاج: جري شيء في عقلك يا تهامي؟!

تهامي: إنت ناكر إن الفلوس وصلتك؟!

الحاج: أي فلوس؟!

تهامي: نفقات الموضوع كله ...

الحاج: وصلتني فلوس من يدك؟!

تهامي: من يد المرحومة!

الحاج: أنا وصلتني من يد المرحومة فلوس خلاف ثمن الكفن؟! ... ثمن الكفن حقيقة مدفوع ... دفعته قبل وفاتها.

تهامي: ثمن الكفن لا غير؟!

الحاج: فقط لا غير.

تهامي: والخرجة، والدفنة، والمحزنة، والندّابة، والعَشا، وخلافه.

الحاج: وانا بأي صفة أستلم مقدمًا من المرحومة ستك نفقات الخرجة والدفنة والمحزنة والندابة والعَشا وخلافه؟

تهامي: بأي صفة؟! ... بصفة كونها استأمنتك.

الحاج: من قال إنها استأمنتني؟!

تهامي: يعني بالعربي إنت ناكر إن في ذمتك فلوس المرحومة؟!

الحاج: في ذمتي؟! ... ذمتي أنا؟! ... اسمع يا تهامي! ... ارجع عني! ... أنا فاهمها ... كل من في البلد اعتقد إنه شاطر وفطين يقوم ينهب الحاج عبد الموجود!

تهامي (للجميع)**:** عاجبكم الكلام؟!

خميس: وان كان عنده شهود يا حاج؟!

الحاج: تهامي؟ ... عنده شهود ضدي؟!

تهامي: أم السعد!

الحاج: ما لها أم السعد؟! ... تقدر تقول إني استلمت من المرحومة نفقات الخرجة والدفنة والمحزنة والندّابة والعَشا وخلافه؟!

تهامي: قالتها.

الحاج: تقدر تقولها قدامي؟!

تهامي: أم السعد موجودة ... نادي عليها يا مبروكة!

مبروكة (ذاهبة وهي تنادي): خالتي أم السعد ... يا خاله أم السعد!

عوضين (بصوت خافت لسعداوي): ما حسبناه لقيناه!

الحاج (ناظرًا إلى الجميع بعتاب): وانتم يا جماعة صدقتم كلامه بالعَجَل؟!

تهامي: لا ... نصدقك إنت أحسن!

الحاج: أنا على كل حال كلامي صادق.

تهامي: وانا الكداب؟!

الحاج: الكَفر يحكم من فينا الصادق ومن فينا الكداب!

تهامي: وانا راضي حكم الكَفر ... احكموا يا ناس!

الحاج: تكلم يا سعداوي! ... تصدقني أنا أو تصدق تهامي؟!

سعداوي (مترددًا حائرًا): والله ...

الحاج: قُل بصراحة ... إياك تخاف منه!

سعداوي: أنا لا أخاف إلا من الله سبحانه وتعالى يا حاج.

الحاج: وانا كل مطلوبي إنك ما تخاف إلا من الله سبحانه وتعالى، وتقول الحقيقة ... على يدك والكَفر عارف ... تشهد إني سلفت تهامي من جيبي ومالي؟!

سعداوي: أشهد.

الحاج: وعلى يدك والكَفر عارف ... تشهد إن تهامي له سوابق في الكذب؟!

تهامي: لي سوابق في الكذب؟!

الحاج: يعني في السرقة!

تهامي: احفظ لسانك يا عبد الموجود!

الحاج: تنكر إنك سرقت فلوس المرحومة ستّك من صندوقها؟! إياك تنكر! الكَفر كله شاهد عليك!

تهامي: هو فيه حساب بيني وبين ستي أم أمي؟!

الحاج: وبعد ما ماتت ستّك أم أمك، ما بقى ينسرق في البلد غير الحاج عبد الموجود؟!

تهامي: وانا سرقتك؟! ... أنا طالب حقي منك!

الحاج: وانا أكلت حقك؟!

محروس (متلفتًا)**:** الخالة أم السعد حضرت.

خميس: ما يقطع بينك وبين تهامي يا حاج غير كلام أم السعد! ... تعالي يا خاله أم السعد ... قولي لنا!

(أم السعد تظهر، ومعها مبروكة، وخلفهما بعض النسوة.)

أم السعد: خير يا اولادي بالصلاة على النبي!

تهامي: اسمعي يا خالة! ... المرحومة كلفتك بحاجة قبل ما تموت؟ ... قولي لنا بالحق.

أم السعد: أقول لك يا ابني ... الله يرحمها ويحسن إليها قالت لي بلسانها: يا ام السعد النبي وصى على سابع جار ... وانتِ جارتي الجدار في الجدار ... وصيتي لكِ بعد موتي تكونِ خرجتي ودفنتي مشرفة، تقيمِ الرقبة بين العدو والحبيب ... والمحزنة تكون حارة بالندّابة والدفوف يومين بليلتين ... ولا يهمك النفقة ولا الفلوس ... كل شيء يا أختي حاسبة حسابه ... والبركة في الحاج عبد الموجود.

تهامي: الله يسترك يا خالة ... كلامك يا حاج؟! ... الخالة أم السعد صادقة ولا كدابة؟!

الحاج: صادقة ... لكن ... المرحومة قالت لك يا خالة إني أنا استلمت منها بيدي نفقات المحزنة؟

أم السعد: قالت البركة في الحاج عبد الموجود.

تهامي: مفهوم.

الحاج: لا يا سيدي ... المفهوم إنها تقول لها بالمفتوح إنها دفعت لي الفلوس نقدًا ليدي!

خميس: اسمعي يا خاله أم السعد! ... وقت ما قالت لك المرحومة إن البركة في الحاج عبد الموجود فهمتِ من كلامها إنه استلم منها النفقات؟

أم السعد: فهمت يا ابني.

الحاج: هو فهمها كفاية يا خميس افندي؟ ... يعني لو فهمت أنا إنك متفق مع تهامي على ابتزاز مالي، يكون هو الصحيح؟!

خميس: ابتزاز مالك؟!

الحاج: مثلًا ... مثلًا ...

تهامي: ما دامت الخالة أم السعد فهمت من كلامها إنك استلمت منها الفلوس، يبقى فاضل حاجة؟!

الحاج: لا يا سيدي ... هي سمعت منها عبارة واحدة: البركة في الحاج عبد الموجود! ... والعبارة واضحة كالشمس ... قصد المرحومة إن عبد الموجود حلّال الأزمات، وإنه مستعد يعاون أهل البلد كالمعتاد.

خميس (وهو يغمز بعينه): كالمعتاد!

الحاج: تمام يا خميس افندي ... كالمعتاد ... فيها حاجة؟!

خميس: أبداً ... كالمعتاد!

الحاج: من ينكر إني عاونت الجميع، وساعدت الجميع؟

خميس: بالفوايد القانونية!

الحاج: وما له؟!

خميس: ولا شيء ... حلال عليك!

الحاج: بيني وبينك شيء يا خميس افندي؟!

خميس: ربنا ... بيني وبينك ربنا ... وربنا ما يرضى بغير الحق ... وانت رجل حاج تلات حجات ... رُد لتهامي حقه؟!

الحاج: حقه؟!

خميس: فلوس المرحومة سته.

الحاج: اثبِتوا قبل كل شيء إني استلمت الفلوس من المرحومة سته! ... هاتوا شهود الرؤية!

خميس: شهود رؤية بينك وبين المرحومة؟! ... الولية الطيبة البسيطة سليمة النية؟! ... بعد ما استوليت على إرادتها وأكلت عقلها؟!

الحاج: أكلت عقلها؟!

خميس (بحزم): اسمع يا حاج! ... من مصلحتك عدم فتح باب الكلام ... خصوصاً قدام الخلْق ... هي كلمة واحدة: ادفع النفقات اللازمة بسرعة!

الحاج: قصدك تهددني؟!

خميس: وانت قصدك تفضح تهامي الليلة ... والمرحومة سته في قبرها تتجرد من أملها ومالها وكل شيء؟!

الحاج: والله طمعتم فيّ يا أهل البلد! ... الكل طمع في مالي! ... ولا خير ولا جميل! ... وآخرتها التهديد كل ساعة من خميس افندي وخلافه ... لا يا سيدي ... يفتح الله! ... والله

ما انا دافع لكم خردلة ... إن كان عندك كلمة قُلّها ... والله ما عُدّت أخاف منك ولا من أعظم منك!

خميس: أنا ساكت عنك يا عبد الموجود ... اقصر الشر!

الحاج: ساكت عني! ... لا ... تكلم!

خميس: تندم!

الحاج: لا ... العب غيرها! ... قدمت! ... كفاية! ... دفّعتني دم قلبي بكلامك إياه!

خميس: دفّعتك دم قلبك؟ ... لي أنا؟ ... لا يا عبد الموجود ... أنا نفسي عزيزة ... وانت عارف ... سبق دفعت لي ولو حق كاس؟!

الحاج: وضروري الدفع لك انت؟! ... الدفع لغيرك!

خميس: الحمد لله إن الدفع لغيري ... لأهل البلد ... أنا هنا غريب ... أمين مخزن الشركة بقى لي خمس سنين ... عايش وحدي بدون أهل، من يوم ما ماتت زوجتي في الحمل — والكل عارف — لكني أصبحت كأن البلد بلدي، وأهلها أهلي ... فرحها يفرحني وحزنها يحزنني ... واجب عليّ ... إذا كانت الشركة وأصحابها خواجات أجانب عمري ما خنتها في مليم، أقوم أرضى أخون أهل البلد، وهم في مقام أهلي؟ ... ومع ذلك يا حاج عبد الموجود أنا خُنت أهل البلد في شيء لاجل خاطرك انت ... خنتهم وأخفيت عنهم ...

الحاج: لاجل خاطري أنا؟!

خميس: قلت: ربنا أمر بالستر ... ولا داعي للفضيحة ... لكن إياك تحرجني.

تهامي: ويصح يا خميس افندي تخون أهل البلد لاجل خاطر أي واحد مهما كان؟!

عوضين: والله ما تصح منك انت يا خميس افندي.

الجميع (معًا)**:** واجب إنك تقول لنا يا خميس افندي ... واجب عليك ... لازم نعرف كل شيء.

الحاج: قل لهم يا خميس افندي واخلص وخلّصنا ... بعد ما وصلت بالكلام للتلميح المكشوف، المسألة ما عاد ينفع فيها ستر ولا غطا ... تكلم وسمّعنا الأسرار المخفية ... تفضل!

خميس (برفق)**:** وإن دفعت له المبلغ بالتي هي أحسن ...

الحاج: مستحيل! ... بعد تهديداتك العلنية! ... أبدًا ... وشرفك لا يمكن ... أنا مستعد لكلامك الفارغ ... تفضل!

خميس: كلامي الفارغ؟!

الحاج: إنت سبب طمعهم فيّ! ... إنت السبب! ... ما هناك واحد طمّعهم في مالي غيرك انت! ... داخل في عقلك إنك ماسك لي زلة ... لا أبدًا ... تفضل قل لهم يا سيدي!

خميس: اعقل يا حاج!

الحاج: اعقل انت! ... كل شيء له حد يا أخي ... كل شيء له آخِر ... كل ساعة ادفع يا حاج ... هات يا حاج ... وإلا قلت لهم ... وإلا كشفت لهم ... قلَ لهم يا سيدي ... قل لهم ... اكشف لهم ... أنا عارف كل ما فيها.

خميس: عارف كل ما فيها؟

الحاج: وأقولها لهم بنفسي ... قبل ما تقولها انت ... هي مسألة العمولة ... ما لها العمولة؟ ... تاجر وعرض عليّ عمولة في نظير مشترى كفن ... أقبل العمولة أو أرفضها؟! ... تكلم يا خميس افندي! ... تكلم يا سي تهامي! ... لو كنت في مطرحي ترفض العمولة؟

تهامي: عمولة على كفن المرحومة ستي؟

عوضين: ستك وغير ستك!

الحاج: لاحظوا إني لو رفضت دخلت العمولة جيب التاجر؛ لأنه حاسب حسابها لي ولغيري ... شيء معروف في أصول البيع والشراء ... العمولة والسمسرة في التجارة شيء معروف إنه أصولي، وانتم كلكم أسياد العارفين.

سعداوي: في محله ...

الجميع: صحيح ... في محله.

الحاج (منتصرًا)**:** قولوا لخميس افندي ... الأمين النزيه خميس افندي! ... الشيخ المطمطم خميس افندي! ... فاهمها زلة ... وقابض على رقبتي بقوله: الفضيحة ... الفضيحة! ... عرفتم حقيقة الفضيحة؟!

خميس: لا يا سيدنا الحاج! ... الفضيحة في شيء غير العمولة ... أقول لهم الفضيحة الحقيقية؟ ... أكشف السر؟! ... الفضيحة الحقيقية هي في سفرك البندر بعد كل دفن!

الحاج: سفري بعد كل دفن؟ ... وما له؟

خميس: ومعك الصرّة إياها!

الحاج (مضطربًا قليلًا)**:** صرة؟!

خميس: صرة داخلها الكفن!

الجميع: الكفن؟!

خميس: الكفن ما يغطي المتوفى غير ساعتين ... أو غايته ليلة ... وبعدها ينخلع من عليه، وينْصَر ويسافر به الحاج بسرعة للبندر يبيعه للتاجر ... أو يرده ويقبض ثمنه مع

تنزيل بسيط!

الجميع (في صيحة): أعوذ بالله! ... أعوذ بالله! ...

الحاج: عيب التشنيع يا خميس افندي؟ ... أنا أرفع عليك قضية! ... أنا أطلب رد شرف!

خميس: تحلف إنه ما حصل؟!

الحاج: عيب يا خميس افندي ... عيب ... عيب.

خميس: تحلف على المصحف إنه ما حصل؟!

الحاج: أنا أخلع الكفن من فوق الميت وأبيعه؟!

خميس: وثروتك كلها من كفن الأموات!

الجميع (في صيحة): أعوذ بالله! ... إنا لله وإنا إليه راجعون!

محروس (صائحًا في وجهه): تنبش قبور أمواتنا؟!

مبروكة (صارخةً): يا حفيظ!

تهامي (هاجمًا عليه): إنت تستحق دفنك وانت حي!

الجميع: حلال فيه القتل!

الحاج (وهو يدفع الهاجمين عليه صائحًا): كدب يا جماعة! ... زور يا ناس! ... صدقتم خميس افندي؟ ... صدقتم الرجل المخمور ... كل كلامه تخاريف سكران ... يفتري علي ... رجل صاحب كاس وطاس، يفتري على رجل في سني حج تلات حجات!

خميس: أنا مخمور وسكران، لكن كلامي صدق ... تحلف انت على المصحف؟!

الجميع (وهم يتركون خناقه قليلًا): هاتوا له المصحف يحلف!

سعداوي: تحلف يا حاج؟!

الحاج: أحلف ... هاتوا لي المصحف!

عوضين: قالوا للحرامي: احلف قال: جالك الفرج!

تهامي: اسمعوا يا جماعة! ... لا يحلف ولا حاجة ... قبر المرحومة موجود ... تعالَ يا حاج افتح لنا القبر نعاين بنفسنا ... إن كان الكفن عليها طلعْت براءة ... وان كانت عريانة ما عليها شيء، رحت انت في داهية، وساعتها! ... والله يمين بالله ما نعتقك عن الدفن جنبها وانت حي!

سعداوي: آه لو كل أهل البلد علموا الحكاية ... وكل من كان له ميت راح يفتح قبره ويعاين ...

خميس (يهمس في أُذن الحاج): تبقى داهيتك تقيلة ... اعقل يا عبد الموجود ... اعقل قبل ما تكبر المسألة!

الحاج (مضطربًا هامسًا): والعمل؟ ... دبرني أنا في عرضك!

خميس (هامسًا له): تنفذ كل كلمة أقولها؟

الحاج (كالغريق هامسًا): أنا تحت أمرك!

خميس (يتجه إلى الحاضرين): اسمعوا يا اخواننا، الحاج عبد الموجود على كل حال من أهل البلد! ... والصنعة تحكم ... وهو عرف وفهم إن ما ناله من أموات البلد لا بد ينفقه على أحياء البلد ... وربما أكون أنا غلطت ... وبعض الظن إثم ... وتكون الحكاية مجرد اشتباه ... والموضوع ما خرج عن مسألة العمولة، والعمولة شيء مُباح في التجارة!

تهامي: يعني رجعت في الكلام يا خميس افندي ... وقلبت الدفة وغيّرت الريح؟!

خميس: الحاج متكفل بجميع النفقات.

الحاج: برقبتي يا تهامي!

تهامي: وكفن ستي عليها؟ ... في قبرها؟

خميس: في قبرها ... في قبرها.

عوضين: قلنا نعاين ...

خميس: اسكت يا عوضين ... يصح منا ننبش قبور البلد ... ونهين كرامة أمواتنا لاجل كلمة لا طلعت ولا نزلت؟!

سعداوي: يعني كان قصدك ...

خميس: كلمة وقلتها من غيظي ... والمسامح كريم ... وظهر إن الحاج مستعد لكل خير في أمان الله ... وفلوسه مصيرها للبلد ... ينفعكم بها وقت الضيق.

عوضين: مفهوم ... بالفوايد!

خميس: بدون فوايد بالكلية!

الحاج: برقبتي ...

سعداوي (لعوضين): عجايب! ... لسان خميس افندي وتشنيعه طلع بنتيجة!

خميس: كلامنا يا جماعة في حق الحاج كان كله على سبيل ... المباسطة ... والحاج جَمَل ... يتحمل منا كل شيء ... وما دام تحمّل دلالنا عليه، واجب علينا نصون لساننا، ولا نشيع عنه كلمة سوء ... الحاج رجل كريم يحب البلد، وقال لي أعلن إنه متبرع من جيبه بكافة ما دفعه عن أهل الكفر لحامد بك وللمعلم شنودة لاجل الصفقة.

الحاج: متبرع؟!

خميس (للحاج همسًا)**:** وأقل منها؟! ... اسكت ولا كلمة! ... إنت وعدت تنفذ كلامي.

الحاج: أمرك!

تهامي: يعني جميع ما دفعنا ...؟

عوضين: يعني كافة ديوننا للحاج ...؟

سعداوي: كل سلفياتنا الخاصة بمشترى الأرض ...؟

خميس: مشطوبة!

الجميع (صائحين فرحًا)**:** مشطوبة؟!

الحاج (همسًا لخميس)**:** إنت غرضك تجردني من مالي يا خميس افندي؟!

خميس (هامسًا له)**:** بعد ما جردت أمواتهم من الكفن، جرد نفسك من قرشين واسترهم!

الحاج (من بين أسنانه)**:** أمرك!

خميس: فاضل شيء بسيط يا حاج!

الحاج: تفضّل! ... هات بقيتي!

خميس (صائحًا مُعلنًا)**:** مهر محروس ... والله ما يكون إلا هدية منك يا حاج! ... وجهاز مبروكة ... والله ما يقوم به غيرك!

(قبل أن يفيق جميع الموجودين من ذهولهم ... يُسمع صوت المعلم شنودة قادمًا بسرعة.)

شنودة (هاتفًا)**:** افرحوا يا أهل البلد ... افرحوا ...

الجميع (ملتفتين إليه)**:** خير؟! ... خير؟!

شنودة (يظهر مُلوِّحًا بأوراقه)**:** مبروك عليكم الأرض!

الجميع: الصفقة؟!

شنودة: تمت ... تمت لأهل البلد!

الجميع: الحمد لله!

عوضين: والخواجة حضر؟

شنودة: انتظرته لحين ما حضر وعملنا اللازم ... وانتهينا من تسليمه القسط وتحرير الإيصال ... والإجراءات الرسمية ماشية ... والأرض صارت لكم من غير منازع.

سعداوي: تُشكر يا معلم شنودة!

عوضين: تُشكر على تعبك لنا!

الجميع: تُشكر على همتك ... تُشكر!

خميس: ويُشكر الحاج عبد الموجود على تبرعاته للبلد!

شنودة (في دهشة): تبرّع للبلد؟!

خميس: كل ما دفعه عن البلد في قسط الصفقة، وما دخل جيب حامد بك ووكيله اعتبر إنه تبرع منه!

شنودة: حصل يا حاج؟!

الحاج: واجب!

سعداوي: وقدِّم لمحروس ابني هدية!

محروس (بفرح): المهر!

عوضين: ونوى يهدي بنتي مبروكة الجهاز!

شنودة: يعني خيرك عم البلد يا حاج؟

الحاج: العفو.

خميس (هامسًا للحاج الواجم): افرح يا حاج! ... افرح من قلبك! ... تمتع! ... فعل الخير طعمه حلو! ... إنت من الساعة حاج حقيقي ... وحجك مبرور إن شاء الله.

شنودة (صائحًا): ما لكم ساكتين! ... جهزوا دبيحة ووزّعوا اللحم ... وافرحوا ... ساعة الفرح الجد سكتم؟! ... قولوا للنسوان تزغرد ...

(مبروكة تزغرد.)

محروس: اسكتي انتِ يا مبروكة ... عيب! ... محزنة تهامي منصوبة! ... لا مؤاخذة يا تهامي!

تهامي: زغردي يا مبروكة ... زغردي! ... الزغاريد يا نسوان! ... الفرحة للحي أولى من الحزن على الميت! ... افرحوا بأرضنا! ... الفرحة للجاي أولى من العياط على الفايت! ... افرحوا وارقصوا وطبلوا وزمروا! ...

بقى لنا أرض بقى لنا ملك
بقى لنا ملك حلو وزين
صلوا على الزين صلوا على الزين

(ويتجمع أهل البلد على صوتِ الزغاريد وتصفيق الأيدي ... ويصطخبون في رقص وغناء وضرب على الدفوف ... وتُعرَض ألوان من الفن الشعبي الريفي المناسب لهذه الفرحة العامة.)

بيان

مسرحية «الصفقة» هي عندي بمثابة حقل تجارب لإيجاد حل لمشكلات طالما اعترضتنا في العمل المسرحي، وهذه المشكلات الفنية التي تواجهنا الآن كثيرة:

أولًا: مشكلة اللغة

كانت، ولم تزل، مسألة اللغة التي يجب استخدامها في المسرحية المحلية، موضع جدل وخلاف. وقد كثر الكلام حول العامية والفصحى، وقد سبق لي أن خُضتُ التجربة مرتين في محيط واحد هو: محيط الريف المصري. كتبتُ مسرحية «الزمار» بالعامية، وكتبتُ مسرحية «أغنية الموت» بالفصحى؛ فما هي النتيجة في نظري؟ ... أشك في أن المشكلة قد حُلّت تمامًا؛ فاستخدام الفصحى يجعل المسرحية مقبولة في القراءة، ولكنها عند التمثيل تستلزم الترجمة إلى اللغة التي يمكن أن ينطقها الأشخاص؛ فالفصحى إذن ليست هنا لغة نهائية في كل الأحوال! كما أن استخدام العامية يقوم عليه اعتراض وجيه: هو أن هذه اللغة ليست مفهومة في كل زمن، ولا في كل قطر، بل ولا في كل إقليم؛ فالعامية إذن ليست هي الأخرى لغة نهائية في كل مكان أو زمان.

كان لا بد لي من تجربة ثالثة؛ لإيجاد لغة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى، وهي في نفس الوقت: مما يمكن أن ينطقه الأشخاص ولا ينافي طبائعهم ولا جوّ حياتهم! ... لغة سليمة يفهمها كل جيل، وكل قُطر، وكل إقليم، ويمكن أن تجري على الألسنة في محيطها؛ تلك هي لغة هذه المسرحية. قد يبدو لأول وهلة لقارئها أنها مكتوبة بالعامية، ولكنه إذا أعاد قراءتها طبقًا لقواعد الفصحى، فإنه يجدها منطبقة على قدر الإمكان. بل إن القارئ يستطيع أن يقرأها قراءتين: قراءة بحسب نطق الريفي، فيقلب «القاف» إلى «جيم» أو إلى «همزة» تبعًا للهجة إقليمه، فيجد الكلام طبيعيًا، مما يمكن أن يصدر عن ريفي، ثم قراءة أخرى بحسب النطق العربي الصحيح؛ فيجد العبارات مستقيمة مع الأوضاع اللغوية السليمة! ... إذا نجحت في هذه التجربة فقد يؤدي ذلك إلى نتيجتين: أولاهما: السير نحو لغة مسرحية موحدة في أدبنا، تقترب بنا من اللغة المسرحية الموحدة في الآداب الأوربية، وثانيتهما — وهي الأهم — التقريب بين طبقات الشعب الواحد، وبين شعوب اللغة العربية؛ بتوحيد أداة التفاهم على قدر الإمكان، دون المساس بضرورات الفن.

ثانيًا: مشكلة المسرح

في بلادنا أزمة مستحكمة؛ هي الافتقار إلى المسارح؛ لذلك رأيت — حلًا لهذه المشكلة — أن تكون هذه المسرحية صالحة للتمثيل والإخراج في أي مكان؛ فهي ليست في حاجة إلى مناظر ولا ملابس ولا خشبة مسرح ... يكفي مجرد العرض في ساحة صغيرة، في أية قرية أو مدينة، وربما كان في هذا أيضًا عود إلى النبع الصافي القديم، الذي خرج منه المسرح وازدهر، منذ أكثر من ألفي سنة.

ثالثًا: مشكلة الجمهور والفولكلور

هذه المشكلة ليست مقصورة على بلادنا، ولكنها أخذت تظهر كذلك في البلاد الأخرى المتقدمة في الفن، على صورة قلق لها أهل الرأي الفني؛ ذلك أن جمهور المسرح بدأ — منذ وقت ليس بالقريب — يفقد وحدته التي كانت متماسكة على نحو ما في عهد النبع القديم. فالمسرحية اليوم قد تخاطب فئة من الجمهور، ولا تخاطب الفئة الأخرى؛ لذلك كان من أهم المحاولات التي تُغري بالإقدام؛ العملُ على إيجاد نوع من المسرحية يمكن أن يشاهدها الجمهور كله على اختلاف درجاته الثقافية؛ فلا يجد فيها الأميُّ تعاليًا! ... فإذا استطاع هذا النوع أيضًا أن يجمع بين المسرحية المكتملة عناصرها، المحتفظة بجدية تركيبها وهدفها وبين الفن الشعبي «الفولكلور»؛ على نحو يُسوِّغه جو المسرحية وطبيعة بيئتها، ويبدو كأنه جزء داخل في بناء المسرحية ذاتها. إذا نجحت هذه المحاولة، فإننا نكون قد عرفنا الطريق إلى الحل المنشود!

رابعًا: مشكلة الأداء الواقعي

هذه المشكلة خاصة بنا وبمسرحنا، وهي المسئولة — إلى حد ما — عن التخلُّف الملحوظ في الفن المسرحي؛ فالمسرحية التي اعتاد جمهورنا التصفيق لها؛ إما أن تكون مضحكة مُغرِقة في الإضحاك بالنكات اللفظية والحركات المفتعَلة والشخصيات الكاريكاتورية، وإما أن تكون مُبكية غاية الإبكاء؛ بالكلمات المفجعة الجوفاء، والمواقف التي تستجدي الدموع والتأثر السريع مجرد استجداء! ... وفي الحالين نحن بعيدون عن المسرح الحقيقي، فإذا استطعنا أن نستدرج جمهورنا، ونجعله يعتاد تذوُّق النوع الطبيعي، الذي لا يهدف إلى إضحاك أو إبكاء؛ ذلك النوع الذي يعرض عليه الحياة في حقيقتها، والأشخاص في واقعهم؛ إذا استطاعت مسرحية مثل «الصفقة» — لم تُكتَب لتُضحك أو تُبكي — أن تُرضي الجمهور بإخراج طبيعي وتمثيل واقعي — بلا نكتة ولا مبالغة — فإن هذه التجربة قد تملؤنا أملًا في المستقبل!

أما بعد؛ فتلك هي بعض المشكلات الفنية، التي أحاول أن أجد لها حلًا! ... وما من حلول نهائية في الأدب والفن؛ إنما نحن نقوم بتجارب لا نهاية لها، نشغل بها حياتنا بأكملها، وليس من شأني النتائج؛ فالنتائج لا تجعلنا نستريح! ... لأن المشتغل بالعلم أو الأدب أو الفن لم يُخلَق ليستريح، بل خُلِق للتجربة والمحاولة، ثم التجربة والمحاولة ... ولا شيء غير ذلك!

ت. ا

سبتمبر ١٩٥٦م

جدول المحتويات

الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
بيان